روايات احلام

www.rewity.com

# الحلم الممنوع

بلا عنوان

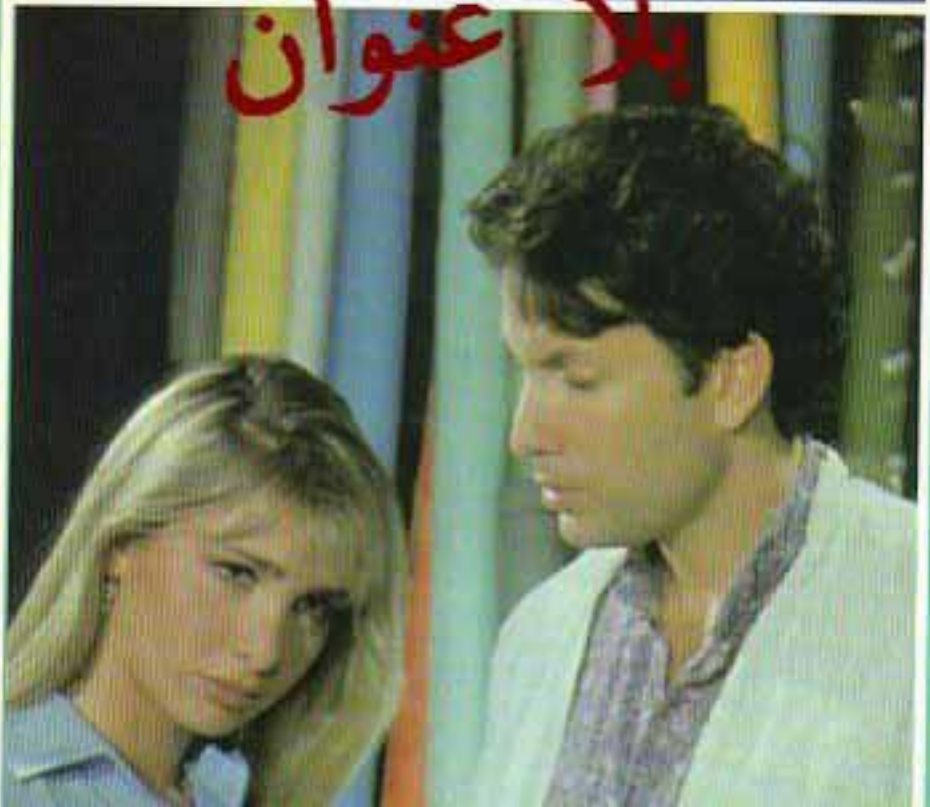

# الحلم الممنوع

إنه رجل أحـلامك يا زيتـا! هذا مـا همس به قلبها... فمنذ أن التقت بلوك أفلت زمام عواطفها من يدها، وبدا لها أن القدر في صفها فكل خطوة تخطوها كانت تقودها إليه وكل حركة منه كانت تقربه منها أكثر. ولكن لو عرفت زيتا رأيه بها أكانت تترك قلبها يقودها إلى الهاوية؟

لا تستطيع أن تلومه فقد حذّرها منذ البداية عندما قال لها:

- أنت صغيرة جداً، ولم تتعلمي حتى الآن إخفاء مشاعرك... يجب أن تتعلمي الوقوف على قدميك بمفردك وألا تدعي أحداً يتلاعب بك...

... هل يفيدها هذا الآن وقد عرفت الحقيقة؟ وكيف يفيد الغريق أن يتشبث بحبال الوهم؟

www.Rewity.com

# ١ ـ على حافة الهوة

كان انتظاراً شديد الحرارة في مطار بيرث في أوستراليا . . ودعكت زيتا دراك يداً متعرقة على جبين مبلل، وهي تنظر حولها . . المطار جميل بأزهاره وشجيراته الشائكة التي لا تنمو إلا في المناطق الغربية من أوستراليا . . لقد أنهكها التعب ومنعها توترها من أن تبدي رأيها بما تحس أو ترى . كانت تأمل أن لا يتأخر عمها ستيفن الذي أتت لتقيم معه عن موعده ليصطحبها معه . كان من الأسهل لها، لو أنها عرفت شكله يوماً، لكن والديها لا يحتفظان سوى بصورة له واحدة التقطت يوم عرسهما منذ ثلاثين سنة، ولا شك أنه تغير كثيراً عن الشاب الممتلىء الجسم الذي كان.

تلاشت حيوية زيتا المعتادة . . فأغمضت عينيها باسترخاء بعد رحلة طويلة مرهقة من انكلترا . . رغم أنها لم تشعر أنها في أرض غريبة . . بل الواقع أنه كان لديها إحساس غريب لم تدرك كنهه بأنها تعود إلى الوطن . . وتراقصت ابتسامة لطيفة على فمها الجميل . . انكلترا هي بلدها وستعود إليها بعد ستة أشهر على الأكثر، إذا سار كل شيء على ما يرام.

اصطدم أحدهم بها فحدقت به لتلاحظ وقوف رجل طويل أسمر ينظر إليها على بعد عشر ياردات.

قطبت جبينها محملقة في وجه ذلك الرجل المتعجرف . . ارتفع حاجباه واشتد فمه في خط حاد متجاهلاً تعبيرها البارد المتحفظ ثم تقدم منها لتنفرج شفتاه فجأة بشيء من التسلية.

بادرها بالسؤال:

ـ هل أنت الآنسة زيتا دراك؟

اتسعت عينا زيتا الجميلتان الزرقاوان المائلتان إلى اللون البنفسجي، وقد تسمرت في مكانها أمام العينين الرماديتين.. وبعثت نظرته الجريئة وصوته العميق ذو اللكنة الأوسترالية الخفيفة، قشعريرة خفيفة في أوصالها، فراحت تدمدم بغباء:

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ضحك:

ـ من الأفضل أن تتأكدي! فعليّ أن أعود بالآنسة زيتا لا بسواها.

أحرجت إذ شعرت بغبائها فأجابت على الفور: من أنت؟ أنا لا أعرفك فلست أنت عمي الذي أنتظر.

تمتم ساخراً:

ـ هذا ما لا أرجوه.. من يريد أن يكون عماً لفتاة فاتنة مثلك؟

اشتدت حدة نظرتها.. وبدت متأكدة أن أمامها رجل له خبرة كبيرة بالنساء، فأجابت ببرود:

ـ هلاّ سمحت بأن تعرّف عن نفسك إذ أنني لست بقارئة أفكار.. فأنا لا أعتقد أنك ذلك النوع من الرجال الذي يرتاد مثل هذا المكان ليجد لنفسه رفقة أنثوية.

سارع بصوت فولاذي محذراً إياها من التسرع في القول:

ـ بكل تأكيد لا.

عجرفته وترت أعصابها، وازداد توترها حين أدركت أن تلك العجرفة لم تكن بعيدة عن مكانها الصحيح.. على أي حال، كانت متأكدة أن شيئاً من الإحباط لن يضيره.. مع أنها لا ترى أنها يمكن أن تحبطه. هكذا مالت لأن تكون هادئة إزاء نظرته المستمرة:

ـ إذن.. من أنت؟

رد مراوغاً:



ـ عمك سيفن طلب مني أن أستقبلك.

ـ ولماذا لم يجيء شخصياً؟

هز كتفيه العريضتين:

ـ عمتك ليست على ما يرام.. لا شيء ينذر بسوء.. لكنه لم يرغب في تركها.. وكنت آتياً إلى هنا في كل الأحوال.

تحول الحذر في عيني زيتا إلى قلق:

ـ هناك ابن عمتي!

وشهقت:

ـ لست هو!

ـ ابن عمتك في السادسة والعشرين.. ألا تعرفين هذا؟

ـ بلى.

ابتسم الرجل:

ـ لست متأكداً من إحساسي أأحس بالغرور أم بالانزعاج لأنني أكبره بعشرة أعوام؟

ـ أتعني غلطتي؟ لم أكن أفكر، هذا كل شيء وليست لدي فكرة عن شكل ابن عمتي.. لكن ستكون الأمور أكثر بساطة لو أجبرت نفسك على القول من أنت، إلا إذا رغبت أن تقف هنا طوال النهار.

ـ وهل أنت مستعجلة؟

كانت مرهقة والغضب باد عليها:

ـ لا أظن هذا، لكن لو أن كل شخص في هذا البلد على عجلة دائمة مثلك.. فمن العجيب أن يتم أي عمل عندكم!

ورأت أن عيناه تجلدتا برودا.. وأدركت متأخرة أن أمامها رجل يعمل بنشاط قوي ويتحرك بسرعة هائلة لو اختار أن يفعل.. ويعطي الأوامر على ذات المستوى.

ـ إذا كنت تنوين التمتع بعطلتك، أنصحك أن لا تبدي ملاحظات متطرفة كهذه.

همست وقد راعها أنها قالت شيئاً كهذا:

ـ أنا آسفة.. أنت على حق.. طبعاً.. ما قلته لا يغتفر.

استرخى وجهه المتشدد ثانية، ومد لها يده:

ـ أنا آسف كذلك.. لقد كنت مرتابة بي، وما كان يجب أن أترك هذا يثيرني. وإلا، سيدتي الشابة، كنت عرفت من أنا بسرعة، وخرجنا من هنا.. أنا لوك هارلي.. وعملك يعمل لي.

شعرت زيتا بالإثارة عندما لامست يدها الصغيرة يده.. حين ترك يدها بسرعة، تساءلت ما إذا كان قد أحس بنفس الإثارة التي أحست بها.. واستراحت حين أكمل:

ـ من الأفضل أن ننطلق آنسة دراك، إلا إذا رغبت في جذب اهتمام أحد المصورين الصحافيين.

بعد إن تباعدت الأيدي استرخت زيتا..

ـ من؟ أنا؟ ولماذا؟

التقط حقيبتها:

ـ ولمَ لا؟ الزوار البريطانيين يتصدرون الأخبار دائماً.. وأنت ملفتة للأنظار أكثر من غيرك، بالرغم من أنك تبدين في السادسة عشرة.

ـ لكنني أكبر من هذا بأربع سنوات!

ـ أعرف.. فهذا ما قاله لي ستيفن.

لحقت بلوك هارلي تسأله ماذا قال له عمها.

ـ ومع ذلك وجدت صعوبة في ملاحظتي.

ـ لم يكن هذا سهلاً.. كان من السهل أكثر لو كان لدى عمك صورة لك.

ـ أوه.. لكن.. ظننت..

ـ ماذا؟

ـ أوه.. لا شيء.

كانت واثقة أن أمها أرسلت صورة لها منذ شهرين، ألم تذكرها



عمتها أليكسا في رسالتها الأخيرة؟ لقد قالت إن ستيفن مبتهج جداً برؤية كم أصبحت زيتا جميلة.. ومن الغريب أنهم لم يعرضوها على لوك هارلي.. قالت بسرعة تغير الموضوع:

ـ في أي وقت سنصل «كولاري»؟ أتعيش هناك أيضاً؟

ـ عادة.. وسنصل إلى هناك في وقت متأخر من الغد.

استدعى سيارة أجرة، لكنها بالكاد لاحظت ما كان يفعل، وقالت:

ـ لم أكن أعرف أن المكان بعيد.

نفرس في وجهها المجفل وهما يجلسان في التاكسي.

ـ ليس بعيداً آنسة دراك. بالنسبة لك قد يبدو بعيداً، لكن بالإمكان أن نصل خلال ساعات. لكن، لسوء الحظ، الأعمال التي جئت إلى هنا لأهتم بها ستأخذ وقتاً أطول مما توقعت.. يجب أن أقابل شخصاً في الصباح، لذا سيتأخر رحيلنا.

تركزت عينان بنفسجيتان عليه بإحباط:

ـ ألن يتساءلوا أين نحن؟ ألن تقلق عمتي اليكسا؟

ـ لقد اتصلت بهما وشرحت الأمر.

كانت طريقة كلامه تشير أن من الطيبة منه أن يوفر وقتاً لمثل هذا الاتصال.. وغضبت زيتا لتعاليه، لكنها قالت بصوت منخفض:

ـ ليتك لم تفعل.. كنت أستطيع إكمال الطريق بسهولة لوحدي.

هز رأسه بأسى:

ـ ألم يخطر ببالك أن تدرسي خريطة لأوستراليا قبل أن تأتي إلى هنا؟

ـ بالطبع فعلت! أدرك أنها بلاد واسعة.. لكنني أعرف كذلك أن هناك طرقات رئيسية ووسائل نقل عامة.. وأن الفتاة يمكن أن تكون آمنة في سفرها لوحدها.

ـ المسافة تبلغ ألف ميل إلى «كولاري»، ومع أن عندنا طرقات رئيسية فلا وسائل نقل عامة تصل إلى أي مكان يقرب من المزارع.. وبما أن ليس لديك سيارة، فكيف تقترحين الوصول إلى هناك؟

علت الحمرة وجهها وأشاحت وجهها عنه:

- أعتقد أنني لم أفهم.. لقد قال العم ستيفن إنه سيلقاني ويأخذني رأساً إلى البيت.. وآسفة لو أنني بدوت سخيفة.. أعتقد أن هذا يسبب إحساسي بخيبة الأمل.

ابتسم لوك ابتسامة ساحرة:

- لا بأس.. وماذا يهم تأخير بسيط لمن هي في مثل عمرك؟ بعد راحة ليلة كاملة، ستشعرين بنفسك أكثر نشاطاً في لقاء أقاربك.

- إذن أين ستذهب؟

- إلى أحد أفضل الفنادق الحديثة، لا أريدك أن تكوّني انطباعاً سيئاً.

أحد أفضل فنادق المدينة! يبدو هذا مكلفاً جداً.. مع ذلك يمكنها البقاء لليلة.. من الأفضل أن تموت على أن تدع هذا الأوسترالي المتعجرف يعتقد أنها لن تستطيع تحمل كلفته. لقد أرسل لها العم ستيفن تذكرة الطائرة، وأفهمها جيداً أنها عطلة لن تكلفها شيئاً.. وإذا كانت كولاري معزولة كما يقول لوك هارلي.. لن يكون هناك ما تصرف المال عليه.. والقليل من المال الذي معها قد يدوم معها طويلاً.

قال بلطف:

- توقفي عن القلق.. التأخير هذا غلطتي.. وإقامتك ستكون على حسابي.. وإذا كنت قلقة من أن تكوني مدينة لي، فلا تقلقي..

مع ثبات نظرته عليها، تحركت بغير ارتياح، متمنية أن ينظر إلى مكان آخر.. ولم تكن تدري أن جمال وجهها البريء كان يأسر اهتمامه. كان شعرها كثيفاً مذهباً، يلمع كالحرير تحت أشعة الشمس ويشكل إطاراً لقسمات تغطيها بشرة بيضاء وعينان زرقاوان واسعتان، وأنف مستقيم، وفم ناعم شهي.. واستنتج الرجل أن فيها من البراءة ما كان يظهر عليها تماماً.

بتنهيدة خشنة، أشاح بوجهه، وسأل دون وعي:

- كم صديق معجب تركت وراءك؟



علا وجهها الاحمرار:

- ليس لدي أصدقاء.. لكن هل يهم لو كان لي صديق؟ لقد رغب العم ستيفن أن يعرف الشيء عنه.

- أحقاً؟ هذا مثير للاهتمام!

أجابت مدافعة عن العم ستيفن:

- لا أظنه كان مجرد فضول منه.. فلقد كان قد طلب مني البقاء هنا لستة أشهر.. مما جعلني أظن أنه كان يحاول أن يتأكد من عدم وجود صديق قد أشتاق إليه بسرعة فور وصولي.. على أي حال هو الذي دفع ثمن التذكرة.

مرة أخرى رمقها بتلك النظرة الغريبة الضيقة والمبهمة: فهمت.

ومن أعماقها تمنت لو أن زوج عمتها أو عمتها من جاء لاستقبالها، فهذا الرجل كان يفقدها سيطرتها على نفسها.

سألته:

- هل يعمل ابن عمتي كذلك لديك؟ يبدو أن عمي فخور به.

- إنه يعمل لي أثناء وجوده.

شيء ما في صوته أعاد نظر زيتا إليه.. لكنها لم تستطع قراءة شيء في وجهه.. تنهدت وأعادت نظرها خارج النافذة.. حين تكلم لوك هارلي عن آبان بدا أنه فيه شيء لا يوافق عليه تماماً.

داخل الفندق، وبعد أن تكلم مع مكتب الاستقبال، اقتيدا إلى غرفتيهما في الطابق الأول، وقال لها:

- غرفتي في الجانب الآخر من الممر إذا احتجت إلي.

شكرته بخجل، فأكمل بلهجة قاطعة:

- تبدين متعبة.. يجب أن تستحمي ثم ترتاحي.. سأزورك بعد حوالي الساعتين، لنتزل إلى العشاء.

بعد ذهابه استولى عليها قلق غريب، وفكرت أنه لا بد أن يكون توتر المسافر وتعبه..

هل هذا صحيح؟ بشكل عام، لم تكن زيتا تشعر بسوء كبير.. شكت في أن يكون التوتر الذي تحس به له علاقة بلوك هارلي.. حين كان ينظر إليها كانت أعصابها تتراقص، وقلبها يخفق بسرعة.. إنه جذاب جداً، وستكون عمياء إذا لم تلاحظ هذا.. لكن كذلك الكثير من الرجال، فلماذا له وحده مثل هذا التأثير المدمر؟ وهي تعمل في محل، قبل أن تترك بلادها، كانت على صلة دائمة بالكثير من الرجال.. لكن، حتى الآن، ما من أحد منهم حرك مخيلتها.. وتذكرت أنها سألت أمها مرة ما إذا كانت مناعتها ضد الرجال غير طبيعية، وضحكت أمها تهز رأسها وتقول: «أنت صغيرة.. أعط نفسك وقتاً.. يوماً ما، ستلتقين بشخص وتحبينه.. شأن كل فتاة في نهاية الأمر».

تنهدت زيتا ثم تحولت إلى حقيبتها لتخرج روب الحمام والفرشاة.. إنها متأكدة أنها لن تقع في حب لوك هارلي.. لكن مهما كان الذي تشعر به، لم يكن مريحاً أبداً!

بعد الاستحمام والراحة أتمت ارتداء ملابسها.. كانت جاهزة حين قرع الباب.. كان فندقاً من النوع الذي من المتوقع أن يرتدي النزلاء فيه أفخر الثياب للعشاء.. لكنها رضيت بارتداء بذلة من قطعتين، التنورة الحريرية تصل إلى ما بعد الركبتين.. ووضعت مسحة خفيفة من الماكياج على بشرتها الشاحبة وتقدمت تفتح الباب.

كان توترها ينعكس في ابتسامتها حين مرت عينا لوك هارلي عليها، وظهر الإعجاب في عمقهما الرمادي.. ثم تمتم ببرود من بين شفتين مشدودتين:

ـ تبدين فاتنة آنسة دراك.

تلاشت ابتسامتها أمام هذا البرود الرسمي وتمكنت من شكره، ثم حاولت مجهدة نفسها لتذيب الثلج عن وجهه بابتسامة أخرى:

ـ أرجوك.. ألن تناديني زيتا؟

استرخى فمه قليلاً:



ـ سأكون مسروراً بهذا.. شريطة أن تتخلي عن دعوتي بالسيد هارلي.

احمر وجهها، غير قادرة على مقاومة تكرار اسمه على لسانها:

ـ أوه.. أجل.. لوك.

ابتسم لها وأخرجها من الغرفة ليقفل الباب ورائهما.. وقبل أن تعي ما كان يحدث، وضع كلتا يديه على خصرها ورفعها إلى مقعد خشبي مرتفع أمام منصة البيع في المقهى.. ثم قال بلطف:

ـ زوج عمتك هو ابن عم ثانٍ لوالدي الراحل.. وهذا ما يجعل بيننا قرابة ولو بعيدة بعض الشيء.. هكذا أرى من الأفضل التخلص من الرسميات بصورة أسرع من المعتاد.

مذهولة، هزت زيتا رأسها، لا تزال تحس بيديه على خصرها.. وقالت هامسة: كما تشاء.

قال ممازحاً:

ـ احفظي هذا عن ظهر قلب، وأنا واثق أنك ستتمتعين بإجازتك.

نظرت إليه جانبياً وأدركت بقلق كم هو قريب منها، وكم هو جذاب. إنه رجل ضخم، قوي، واثق من نفسه.. وأحست باندفاع غريب لتمرر أصابعها عبر شعره القصير الأسود المجعد.. إنه يمتلك نوعاً من الجاذبية كانت تشدها بقدر ما كانت تحاول المقاومة.. تساءلت ما إذا كان هذا هو بداية الوقوع في الحب.

كان صوتها حين تكلمت أعلى من المعتاد:

ـ أذكر أن «دادي» كان يقول إن العم ستيفن قريب للرجل الذي يعمل لديه.. لكنه كان يعتقد أن القرابة بعيدة جداً. أخشى أن تكون عائلتينا لم تتصل ببعضها كثيراً.

هز لوك هارلي كتفيه:

ـ والدك كما أعتقد لم يكن موافقاً على زواج أخته من ستيفن.

ترددت بارتباك:

ـ لا.. مما سمعته كان جداي غير موافقين.. لكنني أعتقد أن هذا

هل هذا صحيح؟ بشكل عام، لم تكن زيتا تشعر بسوء كبير.. شكت في أن يكون التوتر الذي تحس به له علاقة بلوك هارلي.. حين كان ينظر إليها كانت أعصابها تتراقص، وقلبها يخفق بسرعة.. إنه جذاب جداً، وستكون عمياء إذا لم تلاحظ هذا.. لكن كذلك الكثير من الرجال، فلماذا له وحده مثل هذا التأثير المدمر؟ وهي تعمل في محل، قبل أن تترك بلادها، كانت على صلة دائمة بالكثير من الرجال.. لكن، حتى الآن، ما من أحد منهم حرك مخيلتها.. وتذكرت أنها سألت أمها مرة ما إذا كانت مناعتها ضد الرجال غير طبيعية، وضحكت أمها تهز رأسها وتقول: «أنت صغيرة.. أعط نفسك وقتاً.. يوماً ما، ستلتقين بشخص وتحبينه.. شأن كل فتاة في نهاية الأمر».

تنهدت زيتا ثم تحولت إلى حقيبتها لتخرج روب الحمام والفرشاة.. إنها متأكدة أنها لن تقع في حب لوك هارلي.. لكن مهما كان الذي تشعر به، لم يكن مريحاً أبداً!

بعد الاستحمام والراحة أتمت ارتداء ملابسها.. كانت جاهزة حين قرع الباب.. كان فندقاً من النوع الذي من المتوقع أن يرتدي النزلاء فيه أفخر الثياب للعشاء.. لكنها رضيت بارتداء بذلة من قطعتين، التنورة الحريرية تصل إلى ما بعد الركبتين.. ووضعت مسحة خفيفة من الماكياج على بشرتها الشاحبة وتقدمت تفتح الباب.

كان توترها ينعكس في ابتسامتها حين مرت عينا لوك هارلي عليها، وظهر الإعجاب في عمقهما الرمادي.. ثم تمتم ببرود من بين شفتين مشدودتين:

ـ تبدين فاتنة آنسة دراك.

تلاشت ابتسامتها أمام هذا البرود الرسمي وتمكنت من شكره، ثم حاولت مجهدة نفسها لتذيب الثلج عن وجهه بابتسامة أخرى:

ـ أرجوك.. ألن تناديني زيتا؟

استرخى فمه قليلاً:



ـ سأكون مسروراً بهذا.. شريطة أن تتخلي عن دعوتي بالسيد هارلي.

احمر وجهها، غير قادرة على مقاومة تكرار اسمه على لسانها:

ـ أوه.. أجل.. لوك.

ابتسم لها وأخرجها من الغرفة ليقفل الباب ورائهما.. وقبل أن تعي ما كان يحدث، وضع كلتا يديه على خصرها ورفعها إلى مقعد خشبي مرتفع أمام منصة البيع في المقهى.. ثم قال بلطف:

ـ زوج عمتك هو ابن عم ثانٍ لوالدي الراحل.. وهذا ما يجعل بيننا قرابة ولو بعيدة بعض الشيء.. هكذا أرى من الأفضل التخلص من الرسميات بصورة أسرع من المعتاد.

مذهولة، هزت زيتا رأسها، لا تزال تحس بيديه على خصرها.. وقالت هامسة: كما تشاء.

قال ممازحاً:

ـ احفظي هذا عن ظهر قلب، وأنا واثق أنك ستتمتعين بإجازتك.

نظرت إليه جانبياً وأدركت بقلق كم هو قريب منها، وكم هو جذاب. إنه رجل ضخم، قوي، واثق من نفسه.. وأحست باندفاع غريب لتمرر أصابعها عبر شعره القصير الأسود المجعد.. إنه يمتلك نوعاً من الجاذبية كانت تشدها بقدر ما كانت تحاول المقاومة.. تساءلت ما إذا كان هذا هو بداية الوقوع في الحب.

كان صوتها حين تكلمت أعلى من المعتاد:

ـ أذكر أن «دادي» كان يقول إن العم ستيفن قريب للرجل الذي يعمل لديه.. لكنه كان يعتقد أن القرابة بعيدة جداً. أخشى أن تكون عائلتينا لم تتصل ببعضها كثيراً.

هز لوك هارلي كتفيه:

ـ والدك كما أعتقد لم يكن موافقاً على زواج أخته من ستيفن.

ترددت بارتباك:

ـ لا.. مما سمعته كان جداي غير موافقين.. لكنني أعتقد أن هذا

أمر مفهوم. فأوستراليا هي في الجانب الآخر من العالم.. ومنذ ثلاثين سنة كانت تبدو أكثر بعداً.. عمتي اليكسا أكبر من أبي بعشر سنوات.. وأظنه كان في حوالي العشرين يوم تزوجت. قالت لي أمي مرة إن الخلاف كان بسبب زواجهما بسرعة.. لم يتعارفا قبل الزواج سوى لأسبوع واحد.

- إذن والدك لا يحمل ضغينة ضد ستيفن؟

نظرت إلى لوك محبطة:

- أعرف أنهما لم يتوافقا بسرعة.. لقد سمعته مرة يقول إنه يجد العم ستيفن متهوراً جداً.. لكن.. هذا رأيه بكل الأوستراليين.

ابتسم لوك قائلاً:

- على الأقل تحاولين أن تكوني صادقة.

- أنت سألتني.

- أجل.. سألتك.. لطالما أثار استغرابي أن أحداً من عائلتك لم يحاول زيارة أليكسا.

لهجته ألمحت إلى أنهم مذنبون لإهمالها. وربما هذا صحيح..

- جداي ليسا على قيد الحياة الآن.. لكنني أعتقد أنهما قبل أن يتوفيا، حاولا المصالحة بعد زواج عمتي بوقت قصير.. وحين قتلا معاً في حادثة سيارة بعد سنتين كتب والدي إلى عمتي ليخبرها بوفاتهما، ومنذ ذلك الوقت وهما يتراسلان.. لكن لسوء الحظ لم يكن لديه الوقت لزيارتها.

- ولماذا؟

حاولت زيتا أن تشرح:

- حين مات جداي، اضطر والدي إلى ترك دراسته الجامعية ليستلم العمل في المحل.

- محل؟

- أجل.. ألم تذكره عمتي اليكسا من قبل؟ جدي كان رساماً..



إضافة إلى هذا، كان يملك متجراً للأنتيكات، مجرد تجارة محلية صغيرة. لكن والدي كان مهتماً أكثر ومنذ استلم المحل توسعت أعماله، ولم يعد من الممكن أن يسافر إلى أي مكان.. ليس لديه وقت كافٍ كي يأتي إلى هنا، على أي حال..

- ولا والدتك؟

- لا.. فهي تساعده.

- وأنت؟

- وأنا كذلك.. منذ تركت المدرسة، منذ حوالي السنتين.

- وكيف يتدبران أمرهما دونك الآن؟

تنهدت:

- بشكل جيد.. أخواي التوأم وأختي الصغرى تركوا المدرسة منذ أسابيع.. غاي مهتم بالعمل وكذلك جويس، لكن والدي لا يستطيع أن يوظفنا جميعاً.. والركود الاقتصادي الحالي لا يساعد تجارة الأثريات.

ساهمة، تفرست عيناها بكأسها.. حين كتب العم ستيفن شاكراً لأمها رسالتها وصورة زيتا التي أرسلتها لأليكسا، فوجيء الجميع بسعادة.. فهذا شيء لم يفعله من قبل.. ثم فاجأهم أكثر حين دعا زيتا لزيارة طويلة.. وتحمست زيتا ومالت للقبول.. فالدعوة قد تعني الابتعاد قليلاً عن الصعوبات الحالية.. فبعد ستة أشهر قد يتحسن الوضع التوظيفي، أو قد تقرر جويس دخول الجامعة بدل البقاء في المحل.

سمعت لوك يسأل:

- ولماذا كان القرار أن تغادري أنت العش العائلي؟

ردت:

- ما كان على أحد منا أن يغادره.. المسألة كانت اقتصادية، وأنا الكبرى.

- لكنك لست متدربة على مهنة ما؟

حاولت المزاح:

ـ أنا ممتازة في التدبير المنزلي. كنت أقضي وقتاً طويلاً في المطبخ وذلك لتفضيل أمي المحل على المطبخ.. هكذا إذا فشلت في أي شيء.. قد أجد عملاً في ذلك المجال.

لم يبدُ على لوك هازلي المرح كما ظنت، واكفهر وجهه وقال:

ـ يبدو وكأنك ستكونين زوجة كفؤة لرجل ما، وقد تستقرين هنا.

ضحكت:

ـ هذا ما قاله العم ستيفن.

احمر وجهها مرة أخرى لشيء في عيني لوك.

ـ أعني حول الاستقرار هنا.. وليس حول الزواج. وأنا حقاً أتطلع شوقاً لرؤية أقاربي، خاصة عمتي اليكسا.

هذه المرة تكلم لوك:

ـ أليكسا امرأة رائعة.. لكن ستيفن يسيطر عليها.

بدا لطيفاً وكأنما هذا شيء معتاد على قوله.. فهل لديها أي عذر للتفكير أنه غير موافق على هذا الوضع؟ وبدا في عيني زيتا القلق.. وقالت ساخرة:

ـ ربما تحب الأمور هكذا؟ على أي حال، الزوجة عادة تقوم بالطاعة.

سألها ساخراً بدوره:

ـ وهل تفعلين أنت هكذا؟

دون أن تعرف لماذا أخذت الحديث على محمل الجد قالت:

ـ لو وثقت بالرجل بما يكفي.

ـ وماذا عن الحب؟ كان لدي انطباع أنك أكثر رومانسية.

دون فكرة واضحة عما تتكلم ردت:

ـ من المفيد أن يكون المرء عملياً.

مرة أخرى لم يعلق، وحافظ على صمت متجهم. بعد انتهاء شرابهما



دخلا غرفة الطعام، وقررت زيتا أنه فقد الاهتمام بما كانا يناقشانه.. وهما يأكلان أخذ يشجعها للكلام عن حياتها في انكلترا، ولم تدرك إلى أن كادا ينتهيان من الطعام، أنه لا بد عرف كل شيء عنها.

غضبت، حاولت تصحيح التوازن بطرح الأسئلة عن كولاري.

ـ وماذا يعمل عمي هناك بالضبط؟

ابتسم لوك مراوغاً: وهل تسأليني؟

احتارت:

ـ حسن.. بما أنه ليس هنا لأسأله!

ـ رده قد يكون مختلفاً عن ردي.

ـ بأية طريقة؟

ـ قد يقول لك إنه يقوم بكل الأعمال.

ـ ولن يكون هذا صحيحاً؟

ـ لا أظن.

نفد صبرها واقتنعت أن لوك يلعب لعبة خبيثة.. حركت ملعقة سكر في قهوتها وقالت:

ـ أود أن أسمع روايتك.

التوى فمه:

ـ ستيفن يعمل بالحسابات معظم الوقت.. ويمضي الكثير من وقته في المكتب حين أضطر إلى الغياب، يجب أن يعتقد أن له السيطرة الكاملة.

لسبب ما لم تكن تشعر بميل للحديث عن ستيفن:

ـ وهل تغيب كثيراً؟

تفرس بها لحظات قبل أن يرد:

ـ لدي أملاك أخرى في «كوينزلاند» وفي المقاطعة الشمالية، أزورها باستمرار.. لكنني أحب «كولاري» فقد ولدت فيها.

أحست أن هناك شيئاً متعمداً في رده، فترددت: هكذا إذن..

كان موقفاً غريباً.. لم يكن لديها فكرة ما إذا كان العم ستيفن يُعامل

كفرد من الأسرة، أو كمجرد موظف.. وما إن تصل إلى «كولاري» سيكون من السهل أن تكتشف الأمور بنفسها.

قالت تتعمد الخفة في صوتها:

ـ لم أكن أعرف.. العم ستيفن أخبرنا فقط أنك تعيش مع أمك وأنك لست متزوجاً.

نظر لوك إليها بقسوة.. عيناه الرماديتان باردتان.

ـ لست أدري لماذا تسألين مثل هذه الأسئلة الكثيرة، في وقت يبدو أن ستيفن أخبركم بكل شيء له أهمية.

لوك هارلي شديد الذهاء، وهي لا تريده أن يكتشف اهتمامها به. لم يكن هذا شيئاً يمكن أن تضعه في كلمات.. فكيف لشخص ما أن يصف هذا التجاذب؟ لكنها كانت واثقة أنه لو كان متزوجاً لأحسّ بالإحباط.

دهشت بعد العشاء حين عرض عليها أن يأخذها في جولة سريعة على المنطقة المحيطة بالفندق.. رفعت نظرها إليه لتحس بالطمأنينة.. لقد عاد إلى الود ثانية، ولهذا وجدت صعوبة في مقاومته.

في الخارج كان الهواء بارداً منعشاً أكثر من الداخل.

أخذها لوك إلى «كينغز بارك» المؤلفة من ألف فدان من أراضي شاسعة واسعة قرب الفندق على بعد ميل من وسط المدينة.. هناك يوجد مناظر رومانسية رائعة «لبيرث» حيث الحدائق الغنّاء في أوائل تشرين الأول وهو الربيع بالنسبة لأوستراليا، كانت متألقة بزهور أذهلت زيتا بجمالها. وقال لها لوك:

ـ تشرين الأول هو الربيع عندنا.

ضحكت:

ـ حين أعود إلى بلادي ستختلط الأشهر عليّ.. ومن الرائع أن يكون مثل هذا الجمال في وسط المدينة.

ـ لقد تقدمت بيرث كثيراً في السنوات الأخيرة.. وأصبحت مشهورة جداً.. لكنني لا زلت أفضل الريف.



ـ هذا لأنك مربٍ للمواشي؟

ـ جزئياً كما أعتقد.. لكنني أشعر بالاستقرار بعد يومين في المدينة.

لم تجد هذا غريباً، فهو يبدو رجل أعمال ناجح بقدر ما يبدو راعي مواشي ناجح.. حين حاولت قول هذا له ابتسم:

ـ يجب عليّ أن أكون ناجحاً في كلا العملين.. أيام جدي، أو حتى أبي، كانت الأمور تختلف. لكن في أيامنا هذه، يأخذ المكتب مني معظم وقتي فأنا في سيدني، أو ملبورن، بقدر ما أكون في بيرث.

قالت بصوت منخفض وهي تعرف أن مجرد ذكر موطنه يهدىء أعصابه:

ـ أنا مسرورة لذهابنا غداً إلى «كولاري».

هز رأسه:

ـ المكان هناك أكثر روعة.. السهول الواسعة، الوديان العميقة، الجبال.. الطبيعة في أبهى شكل لها مع ذلك فهي سخية.. وستحبينها.. بإمكانك رؤية المزيد من بيرث وأنت عائدة إلى بلادك.

كرهت أن يُذكرها أنها هنا لفترة قصيرة وسمعت نفسها تقول بحزن:

ـ ستة أشهر ستمر بسرعة.

ـ وقد لا تمر بسرعة.

تعجبت زيتا لإحساسها بتهديد ما.. فاتسعت عيناها حذراً وهي ترفعهما إليه:

ـ لا أظن أن كلامك هذا تقصد منه إراحتي.. سيد هارلي.

وضع يده على كتفها:

ـ ألم تلاحظي أنني قلت «قد»؟ والأمر قد يكون كله عائد إليك.. لذكري هذا.

حاولت تحرير نفسها من يده، لكنه شدد قبضته حتى آلمتها.. فقالت شاهقة:

ـ لا أظن أنني أفهمك.

ـ وهل تريدين أن تفهمي؟

ـ لست متأكدة.

قيّمت عيناه الساخرتان ترددها، وقال:

ـ تشعرين وكأنك تقفين على حافة هوة عميقة؟

همست بارتباك: وكيف عرفت؟

تنهد:

ـ أنت صغيرة جداً.. ولم تتعلمي بعد إخفاء مشاعرك جيداً.. لكن من المهم أن تتعلمي الوقوف على قدميك لوحدك. لا تدعي أحداً يتلاعب بك لمصلحته الخاصة..

سألت مقطوعة الأنفاس:

ـ ولماذا يرغب أحد أن يفعل هذا؟

هز كتفيه وقد خف غضبه.. يختار أن يتجاهل سؤالها.. وقال بلطف:

ـ قد يكون هذا وليد مخيلتي فقط.. ربما كنت أعمل جاهداً مؤخراً.. ويجب أن تسامحيني.

* * *

## ٢ ـ احذري يا آنسة!

وهما يطيران إلى «كولاري» بعد ظهر اليوم التالي. رأت زيتا من نوافذها السماء الصافية الزرقاء، من تحتها مباني مزرعة المواشي المنتشرة، وإلى جانبها كان يجلس لوك هارلي يقود طائرته بسهولة عفوية.

قبل الهبوط، أشار إلى شيء ما على الأرض وابتسم:

ـ يبدو أن هناك من ينتظر ليرحب بك.

أدارت له وجهاً تعلوه الحمرة، وقالت مترددة:

ـ هل لي.. أعني هل أستطيع أن ألوّح لهم؟

ـ هيا.. افعلي.

وبدأ يهبط بالطائرة بخبرة.

نسيت للحظات «لجنة» الاستقبال، وقد غمرها الإعجاب.

ـ هبوط رائع.. بالكاد أحسست بشيء.

ـ هذا ما رجوته أن يحدث.

خرج من الطائرة ثم حملها إلى الأرض.. للحظات اشتدت ذراعاه حولها ثم تركها دون الاكتراث بالشهقة الصغيرة التي أفلتت منها بعد أن تركتها يداه، لترتجف بشكل غريب.. واستدار ليواجه رجلاً كان يتقدم نحوهما.

ـ ها أنت ستيفن!

تسللت يده تمسك معصم زيتا ليجرها إلى الأمام:

ـ ابنة عم فاتنة، أسلمها لك سالمة.

www.rewity.com

ستيفن الفين كان قصيراً ممتلىء الجسم كما وصفه والد زيتا لها، وفي أواسط الستين من عمره، وجهه مجعد، وشعره رمادي.. بالنسبة لزيتا كان رجلاً مسناً، مميزاً ووقوراً. ومع أن فمه وذقنه قد يكونان ضعيفان، إلا أن وجهه لطيف بوجه عام.

مهما كانت نظرتها إليه، بدا من المؤكد أنه معجب بها.. وقال ضاحكاً:

- لم يكن لدي فكرة أنك ستكونين بمثل هذا الجمال! عمتك ستكون مغتبطة!

حررت معصمها من يد لوك، وابتسمت لستيفن.. وأقنعت نفسها أنها معجبة بحماسه نحوها.. وليس من العدل أن تتذكر رأي والدها به.. فالأنسباء عادة يميلون إلى الانتقاد.

تكلم ستيفن معها قليلاً قبل أن يشير إلى شاب يقف على بضع ياردات خلفهما، وقال مبتسماً:

- آيان.. تعرّف بابنة خالك من انكلترا.

مدّت زيتا يدها عندما اقترب الشاب منها: مرحباً.

نظر إليها آيان باكتئاب وصافحها بسرعة. ولم يتكلم إلى أن قال لوك ببرود:

- أكلت القطة لسانك.. آيان؟

احمر وجه الشاب، ثم انحنى بأدب مبالغ فيه:

- مساء الخير ابنة خالي.. قد تعتقدين أنني أبله.. لكنك ترين أنني حكيم بما يكفي لأعرف أن عليّ دائماً واجب إطاعة الرئيس.

شحب وجه زيتا وهي تلتقط صوت أنفاس لوك الخشنة، وترى أن فكه يشتد.. لكن قبل أن تقول شيئاً، تدخل ستيفن بنظرة إحباط لابنه.

- عمتك ليست على ما يرام لتأتي وتستقبلك زيتا.. لقد بدأت بتحضير العشاء.. وأعتقد أن الإثارة في كل هذا، كثيرة عليها.

قال لوك بحدة:



- الليلة يجب أن تتناولوا العشاء جميعكم في بيتي ستيفن.

نظرت إليه زيتا بحزن.. تحس أن الدعوة قد لا تكون قلبية.. لا بد أنه متعب وربما لا رغبة لديه في استقبال أربعة أشخاص.

قالت زيتا:

- يمكنني مساعدة العمة اليكسا.

لكن قبول ستيفن الدعوة سريعاً أسكتها.

- ستكون مسرورين لوك، وأنا متأكد أن زيتا ستتمتع بالدعوة.

ثم آيان:

- بإمكانكما استثنائي.

رد لوك دون أي احترام:

- كنت أود أن أستثنيك.

كان هناك شاحنة تنتظر، قادها ستيفن وجلست زيتا بين لوك وزوج عمتها، بينما جلس آيان في المؤخرة دون اكتراث.. المكان ضيق، كانت زيتا مضغوطة بين الرجلين وتحس أن بشرتها تحترق..

على ما يبدو لا أحد يريد الكلام، ركزت على تصرف آيان الغريب.. هناك شيء يزعجه، وتساءلت عما يكون. كان الأمر سيكون أكثر سهولة لو أنه تظاهر بالسرور لرؤيتها.. وعضت شفتها بطريقة تشير إلى الإحباط.. ربما سيتحسن تصرفه مع ازدياد تعارفهما.

أوقف ستيفن الشاحنة أمام منزل أبيض كبير وسط حدائق واسعة، حيث تركهما لوك قائلاً باختصار:

- أراكما فيما بعد.

منزل ستيفن، كان على بعد بضع مئات من الياردات.. كان البيت متواضعاً. لكن زيتا كانت متشوقة جداً لرؤية عمتها، بحيث لم تفكر بالمقارنة.. أليكسا ألفين كانت امرأة ضعيفة يبدو عليها الوهن، أصغر بقليل من زوجها.. وكانت بالتأكيد يوماً ما جميلة جداً.

وابتسمت لزيتا بحرارة:

ـ شيء رائع أن أراك عزيزتي.. أنا مسرورة جداً لمجيئك.

عوّض صدق ترحيبها، وواقع أنهما أحبا بعضهما فجأة قليلاً عن عدم اكتراث آيان.. بالرغم من وجود دموع الفرح في عيني اليكسا، كان هناك كذلك ارتياب وهي تنظر إلى ابنة أخيها الكبرى. ثم تمتمت بارتباك وهي تترك زيتا وتفتش عن منديلها:

ـ أنت فتاة جميلة، لكنني لم أكن أظن أنك صغيرة السن هكذا!

وهل سنها مهم لهذا الحد؟

ـ أنا في العشرين عمتي اليكسا..

ـ أعرف عزيزتي.. لكنك لا تبدين في العشرين.

ـ قال لي السيد هارلي، ونحن في بيرث، إنك لست بخير.

أقرت العمة على مضض:

ـ هذا صحيح.. ولا شيء خطير حقاً.. أعتقد أنني أصبت بإعياء سببه التعب.

ـ أتمنى أن لا تسبب لك زيارتي المزيد من التعب.. أكره أن أفكر أنني سأزيد من مشاغلك.

تدخل ستيفن وهو يلفُّ زوجته بذراعه:

ـ بالطبع لا.. سيكون وجودك المقوّي لها.. أليس كذلك حبي؟ خذي هذا المساء مثلاً، نحن مدعوون جميعاً إلى العشاء مع لوك.. لذا لن تضطري إلى الطبخ.

قطبت جبينها اليكسا:

ـ والدته لم تقل شيئاً حين رأيتها هذا الصباح.

ـ لقد دعانا لتوه حبيبتي.

وغمز لزوجته، وهذا ما جعلها تتململ بغير ارتياح، خاصة أنها لاحظت ازدياد عبوس عمتها.

وبدا أن اليكسا تجاهد ليكون صوتها أقل تهدجاً:

ـ سيكون هذا رائعاً عزيزتي.



واستدارت إلى زيتا.

ـ والآن.. سنتناول فنجان شاي، وإذا كنا سنخرج فيما بعد، فسنضطرين لأخذ حمّام منعش.

قال ستيفن إنه سيتخلى عن الشاي لعمل لديه وكان آيان قد اختفى سلفاً.. أما زيتا فكانت تتمنى عصير فاكهة أو ماء عذب، لكن اليكسا قارب قد حضرت الشاي فلم تعد تستطع أن ترفض. وهما تشربان الشاي طرحت اليكسا الكثير من الأسئلة عن أقاربهما في انكلترا، جاهدت زيتا في الإجابة عليها كلها بردود مرضية.

ضحكت اليكسا بلطف:

ـ الأفضل أن أتوقف عن الأسئلة كي لا يصيبنا معاً الحنين للوطن.. تعالي، سأريك بقية المنزل وفيما بعد سأصطحبك إلى غرفتك.

عدا عن غرفة الاستقبال كان هناك المطبخ وغرفة الطعام، وأربعة غرف نوم.. كلها مفروشة ومرتبة، ترتيب الغرف وفرشها يدل على بساطة وتقشف. قالت اليكسا تشرح:

ـ لا يحتاج المرء هنا إلى أثاث كثير بسبب الطقس الحار.

ابتسمت زيتا:

ـ الأثاث الكثير يعني العمل الكثير: حين أفكر في الساعات الطويلة التي أقضيها في التلميع..!

لم تشعر زيتا بالاستغراب إلا بعد انفردت في الغرفة التي أعطتها لها عمتها.. بكل تأكيد، العم ستيفن مدير مزرعة لوك هارلي، يقبض مرتباً عارماً، وفكرت: أين يصرفه يا ترى؟ واضح أنه لا يصرفه على هذا المنزل!

بعد إفراغ حقائبها، استحمت وجلست على السرير، لأنه لم يكن يوجد في الغرفة لا مقعد ولا كرسي.. يجب أن تتذكر أن تطلب من عمتها مقعداً.. ولم تكن واثقة مما ستقيّم أقاربها به.. يبدو أنهم عائلة بسيطة من الفلاحين. فلماذا تشعر أن هناك الكثير منهم غامض عليها؟

ما الذي كان لوك يحاول أن يحذرها منه في بيرث؟ ولماذا قرر أن لا يكون واضحاً أكثر؟ ربما كان يحاول أن يشير إلى أن من المتوقع منها أن تقوم بعمل كثير بسبب سوء صحة العمة اليكسا.. لكنها بكل تأكيد لن تبقى طوال اليوم متكاسلة، فمساعدة عمتها ستكون شيئاً يلهيها.. وقد تكون هذا وسيلة لرد شيء مقابل العطلة المجانية.

فكرت بلوك.. إنه رجل جذاب.. لكنها لا تستطيع أن تصدق أن هذا هو السبب الوحيد لإحساسها الغريب بالانجذاب إليه.. وتساءلت عما إذا كانت ستعرفه هنا أكثر. لكنه يقيم في منزله وهي في منزل آخر.. وبالرغم من واقع قرابته البعيدة لستيفن، إلا أنهما اجتماعياً على طرفي نقيض.

حتى الآن، يكفيها أنها ولوك كانا لوحدهما لبضع ساعات في بيرث.. ستكون هذه الساعات ذكرى ستثمنها دائماً.. ليلة أمس، وهما عائدان إلى الفندق طلب المزيد من القهوة، وعادا ليتحدثا إلى ما بعد منتصف الليل.. ثم سافرا من بيرث إلى «ديري» على بعد ألفي كيلو متر شمالاً بالطائرة.. ثم إلى كولاري في طائرة لوك الخاصة.. حين رأت زيتا طائرته الخاصة اتسعت عيناها كصحنين. فقال ممازحاً:

ـ هيا أيتها العمياء.. لا بد أنك شاهدت طائرة صغيرة قبل الآن.

أحست بحريق في وجهها لشدة احمراره.

ـ ليس بمثل أناقة وجمال هذه.

سألها: أتقودين طائرة؟

ضحكت:

ـ يا له من سؤال.. أعرف أن أقود سيارة.. لكنني لم أتعلم الطيران أبداً.. وهل يلزمني الكثير من الوقت؟

ـ أجل.

غلبها النعاس وكانت منهكة تكاد تغفو على وسادتها.. بينما كانت تفكر بلوك، أغمضت عينيها وتحولت من الواقع إلى عالم الأحلام دون أن



تعي هذا.. واستيقظت مذعورة مبللة بالعرق، لتجد اليكسا تقف قربها.

كانت تقول بلطف:

ـ استيقظي زيتا! توقعتك أن تكوني جاهزة.. أنا وعمك بانتظارك!

قفزت واقفة:

ـ أوه.. يا إلهي! أنا آسفة عمتي.. لا بد أنني غططت في النوم.. لم أكن أقصد هذا.

قطبت العمّة جبينها بإحباط:

ـ هذا أمر مزعج! لوك يريد منا أن نكون في الوقت المحدد.

كررت زيتا: أنا آسفة.

بسرعة اتجهت إلى الخزانة لتأخذ فستانها، ثم قالت:

ـ أقول لك ماذا عمتي.. لماذا لا تسبقاني، ثم ألحق بكما؟

ـ لكن ماذا عساي أن أقول؟

ـ قولي لهم الحقيقة! أنا لا أنام عادة وسط النهار ولا شك أنه تعب السفر بالطائرة.. أو تغيير الطقس أو شيء آخر.. وأنا واثقة أنني سأكون على ما يرام بعد هذا.

ـ لكنك لا تعرفين الطريق عزيزتي؟

نظرت زيتا من النافذة:

ـ لم يحل الظلام بعد.. وأعدك أنني لن أضيع الوقت.

ـ من الأفضل أن أسأل عمك عن رأيه.

تركت اليكسا الباب مفتوحاً، وبعد ثلاثي ثمتمة الأصوات من الردهة، أقفلته زيتا متنهدة.

بعد عشر دقائق من هذا، كانت جاهزة ترتدي فستاناً بطول كاحليها.. في محاولة للإسراع، خرجت راكضة إلى الممر لتصطدم بآبان واضع بين ذراعيه وهو يخرج من غرفة الاستقبال.

ـ هاي! كوني حذرة! لماذا الاستعجال؟

شهقت: لقد تأخرت!

ضحك:

ـ سأوصلك إلى هناك.. ولا تعتذري.. فأنا أحب الفتيات اللواتي يرمين بأنفسهن عليّ.

قال صوت متصلب من خلفهما:

ـ لن يكون هذا ضرورياً آبان..

انتزعت نفسها منه وانكمشت وهي ترى لوك يتفرس فيهما عند الباب.. قالت بصوت باتر أكثر مما قصدت:

ـ كنت في طريقي حين اصطدمت بآبان.

لم يرغب لوك في الاستماع إلى شرحها، وقال:

ـ دعينا نذهب.

واختفى آبان على الفور تاركاً إياها تتعامل مع لوك لوحدها:

ـ ما كنت مضطراً للمجيء لتأخذني.

ـ أتحاولين القول إنك لم تحبي أن أقاطع المنظر الحميم الصغير الذي رأيته؟

ـ لم يكن كما تظن أنه كان.. أرجوك سيد هارلي.. لوك. لقد فهمت كل شيء بطريقة خاطئة.. فقد حدث هذا كما قلته لك تماماً.

عدّل من خطواته ومن الضغط الذي كان يمارسه على ذراعها، لكنه لم يتوقف:

ـ أوه.. وكيف كان هذا؟

كانا يسيران بين أشجار لم تكن لاحظتها من قبل وأدركت أن هذا طريقاً آخر إلى منزله.

ـ ألم تقل لك عمتي اليكسا؟ لقد غفوت فوق السرير ولم أكن أقصد أن أنام، لكن لا شك أنني كنت متعبة. حين أيقظتني عمتي، كانت قلقة فقلت لها أن يسبقاني، وكنت أحاول اللحاق بهما حين اصطدمت بآبان في الردهة.

بدا على لوك الاسترخاء قليلاً، لكنه قال بدهشة:



ـ كنت لأحذر منه لو كنت مكانك.

بفضول، وبشيء من الحدّة سألت:

ـ ولماذا؟ هل هناك سبب محدد؟

ـ آبان يحب الفتيات، لكنه ليس لطيفاً معهن دائماً كما يجب أن يكون.

ـ الكثير من الرجال هكذا.

ـ إذن أنت تستلطفين المعاملة الخشنة؟

وتوقف ينظر إليها.. قالت: لم أقصد هذا!

ـ كونك ضيفة عندي، لن أقبل بهذا.

تحررت من قبضته:

ـ لا تكن سخيفاً! آبان ابن عمتي!

ـ ولن يردعه هذا.

ـ لكن هذا يردعني أنا.

ضحك ساخراً:

ـ هل أنت واثقة؟

تنهدت زيتا، لم تكن غاضبة بقدر ما هي مرتبكة:

ـ لست أدري كيف يمكنك التكلم معي هكذا سيد هارلي.. أنت بالكاد تعرفني.

تابع سيره:

ـ هذا صحيح.. لكنني لا أشك في أنني سأتشجع لقول المزيد.

عمّ يتحدث الآن بحق السماء؟ بريق عينيه جعلها واثقة أنه لا يتكلم عبثاً، لكنها لم تفهمه.. ولم يبدُ في مزاج جيد.. ظنته متعباً بعد أن طارا إلى هنا من بيرث.

وصلا المنزل، ولم يعد لزيتا وقت للتفكير. اتسعت عيناها دهشة عند دخولها، فمنزل العم ستيفن شيء، ومنزل لوك شيء آخر! بنظرة واحدة أدركت الفرق.. منزل لوك كان كبيراً مهيباً دون أن يكون متفاخراً يلفت

الأنظار . . كل شيء لم يكنه منزل ستيفن.

أدركت أن خط فمه المستقيم التوى سخرية.

ـ هل تتسع عيناك دائماً حين يدهشك شيء ما، زيتا؟

بسرعة أخفضت جفنيها، لتخفي تعبيرها:

ـ أنا . . أعتقد . . أنني لم أكن أنتظر رؤية هذا . .

ـ وماذا توقعت حين جئت إلى هنا؟ ألا يبحث معظم الشبان في عطلاتهم عن الرومانسية والمغامرة؟ . . أتصور أن رأسك مليء بالأفكار الجنونية.

كانت تحس بالقوة الكامنة فيه أكثر، وهي تقع تحت تأثير نظراته الملاحظة من عينين رماديتين ثاقبتين. شيء ما فيه جعلها ترتجف وتتمنى بجنون لو أن لها خبرة أكثر بالرجال . .

قالت بيأس الكاذب:

ـ ليس في رأسي أفكار مجنونة.

رد ببرود: عجباً؟

ـ أليس من المفترض أن ألتقي بأمك؟ هل هي مع الآخرين؟

أدارت ظهرها إليه وكانت غلطة، فقد أجفلت لإحساسها بيديه على كتفيها . . يديرها مجدداً إليه.

قال بلطف لكن بحزم لا يمكن تجاهله:

ـ زيتا . . لا تديري ظهرك أبداً وأنا أكلمك!

تمنت زيتا أن لا يلاحظ ضربات قلبها وحاولت الكلام بخفة:

ـ كنت متأكدة أنك أنهيت كلامك؟

ـ الآن، أجل . . لكن تذكري . . لن تستطيعي لعب دور الفتاة الشيطانة المدللة معي آنسة! احذري في تصرفاتك!

كانت متأكدة أنه لا يهتم ما إذا كانت مشاعرها جُرحت أم لا.

ـ تعالي . . من الأفضل أن ننضم إلى الآخرين قبل أن تقرري الهرب كأرنب خائفة.



قادها بلطف عبر باب خشبي ثقيل إلى غرفة الاستقبال.

راقبت والدة لوك، امرأة مسنة لطيفة المظهر، تقدمهما باهتمام ثم قالت لعمة زيتا الجالسة بقربها:

ـ اليكسا . . لم تقولي لي أبداً إن لديك ابنة أخ جذابة هكذا.

بدا على ستيفن الارتياك.

ـ بكل تأكيد لدينا.

وقفت زيتا والارتباك بادٍ عليها فتشاغلت بفستانها القطني الرقيق المطبع، تحس بعيني لوك تزدادان تسلية . . وأكملت أمه بحماسة:

ـ يا له من شعر جميل! لا يمكن إلا أن يكون طبيعياً.

ابتسمت زيتا:

ـ إنه شعر والدي الأشقر.

تمتمت اليكسا بخشونة:

ـ وأنا كنت هكذا . . يوماً ما!

ضحك الجميع بلطف . . وبينما كانت تصافح الأم بلطف، كان لوك يصب لها شيئاً من العصير قبل أن يذهب الجميع إلى العشاء.

غرفة الطعام كانت بأناقة غرفة الاستقبال. والدها كان سيجن إعجاباً . . القطع الأثرية وحدها قد تبقيه مذهولاً لأيام . .

قالت السيدة هارلي:

ـ تعالي واجلسي إلى جانبي زيتا لأتحدث معك. عمتك قالت لي إنك تساعدين أباك في متجره؟

بدا الحياء على زيتا وهي تجلس على مقعد إلى جانبها، ممتنة أنها لم تضطر إلى الجلوس قرب لوك . . فهي لا ترغب بالتأثير الغريب الذي له عليها.

تناولوا البطيخ والحساء اللذيذ، ثم أخذ لوك يقطع شرائح لحم العجل، بينما كانت مدبرة المنزل تأتي بأطباق فارغة . . كل الأواني من الخزف الصيني كانت مذهبة ورقيقة . . أما الأدوات فكانت من فضة.

خلال الوجبة، طرحت السيدة هارلي الكثير من الأسئلة حول انكلترا، متذكرة آخر مرة كانت هناك. . وانضمت اليكسا إلى الحديث أكثر من مرة. لكنها بقيت أكثر الوقت صامتة، بينما لوك وستيفن كانا يتحدثان بشؤون المزرعة. . وكلما نظرت زيتا إلى الرجلين كانت تلاحظ أن بينهما شيئاً من التوتر.

كانت قد بدأت تسترخي حين استدار ستيفن إليها مبتسماً بمرح:

ـ أوه. . كدت أنسى. . زيتا تعرف الركوب لوك، لكن ليس جيداً جداً. . أتمانع أن تراقبها قبل أن أسمح لها بالخروج لوحدها؟

نظرت زيتا إلى عمها بانزعاج. . ما الذي جعله يذكر شيئاً كهذا؟ قبل تناول الشاي بعد الظهر سألها عفوياً ما إذا كانت تعرف ركوب الخيل وأجابت بالإيجاب. ما كان على ستيفن أن يسألها قبل ذكر الأمر للوك!

تدخلت بسرعة:

ـ أفضل الانتظار. . أعتقد أنني قلت لك عمي إنني لست مستعجلة.

تجاهلها لوك وكأنها لم تتكلم:

ـ سأهتم بهذا في الصباح ستيفن، فلا وقت أفضل من الحاضر.

عضت زيتا شفتها بقسوة مؤلمة. . كان من الصعب عليها فهم ستيفن أو لوك. كان وجه ستيفن يعبر عن اهتمام حقيقي بحيث خجلت أن تشك به. لكن لم تزعج نفسها في احتجاجات أخرى؟ إذا كان لوك مصمماً على أخذها معه على ظهر جواد، فقول المزيد هو مضيعة للوقت.

غادروا منزل لوك باكراً. . وفي الصباح التالي استيقظت زيتا تشعر أنها أفضل حالاً بكثير. لكن وقت الفطور، وبعد رحيل آيان، أجفلها ستيفن بأن توسل إليها كي لا تثير عداء لوك.

ـ وما الذي يجعلك تظن أنني قد أفعل؟ على الأقل لن أفعل هذا متعمدة.

نظر ستيفن إليها نظرة اعتذار، ثم تنهد:



ـ أعتقد أنني أتخيل الأشياء. . كان هذا شيئاً لاحظته على العشاء ليلة أمس. . لم تكونا متعاطفين مع بعضكما. كان لدي انطباع أنك تتمتعين بمعارضته.

ـ لكن لم يكن هناك شيء جدي. . ولن يتوقع لوك مني أن أوافق معه على كل شيء.

أبعد عنه طبقه وكأنه فقد شهيته.

ـ هذا صحيح. . وما كنت لأذكر هذا لو لم يكن الأمر مهماً جداً.

ـ مهم؟ ولماذا؟

تردد ستيفن:

ـ حسناً. . أوه. . لم أستطع إزعاجك بمشاكلي أول صباح لك هنا زيتا. . نحن بالكاد نعرف بعضنا. . وأنت صغيرة السن جداً.

ردت بحدة:

ـ لست صغيرة إلى هذا الحد عمي. . وقد نكون لا نعرف بعضنا جيداً. . لكن بكل تأكيد الدم لا يصبح ماء!

كانت ابتسامته حزينة فاترة:

ـ طبعاً. . كان يجب أن أعرف أنك متفهمة. على أي حال، ما كنت لأشغل بالك بهذا الأمر لولا عمتك. أنا لا أبعد كثيراً عن سن التقاعد، وأمل لو بقيت على علاقة جيدة مع لوك، أن يعطيني تعويضاً أكبر. . ربما بعض الأسهم في الشركة أو شيء ما.

ـ كنت أظن أنك حصلت على مثل هذا.

ـ كان لدي أسهم زيتا، لكنني اضطررت إلى بيعها بعد أن مرضت عمتك كثيراً منذ سنوات. . واحتاجت إلى رعاية خاصة.

بالنسبة لزيتا، لم يبدُ الأمر إنصافاً. . أما كان يجب على لوك أن يدفع مثل هذه التكاليف؟ لكنها أدركت أن ستيفن لن يقول لها القصة كاملة وأن فضوليتها لا تجدي نفعاً.

سألته بلباقة:

ـ ماذا ستفعل حين تتقاعد؟

ـ لست واثقاً.. سيعتمد هذا على ما أستطيع أن أتحمله.. أليكسا تتحدث دائماً عن منزل على الساحل، لكن هذا قد يكون طموحاً كبيراً.

بالرغم من أن هذا لم يبدُ لزيتا طموحاً مبالغاً به، إلا أنها تشك في أن يؤثر تصرفها مع لوك على أي قرار قد يتخذه بالنسبة لتعويض تقاعد ستيفن. ومن أجل إراحة بال ستيفن فقط، وعدت أن لا تفعل شيئاً لتكدير لوك لو استطاعت منع نفسها.

هز رأسه براحة واستعاد مرحه، ثم شرب فنجان قهوة آخر وغادر إلى المكتب.. وأنهت زيتا قهوتها، وبدأت تساعد اليكسا بعمل المنزل.. لم يكن هناك الكثير من العمل، وكان بالإمكان معاً أن ينهياه بسرعة لولا استمرار اليكسا بالتذمر من الصداع، متوسلة في كل مرة أن تصنع لها زيتا فنجان شاي.. وبعد إنهاء تحضير الغداء، سألتها العمة إذا كانت تمانع أن تأخذ رسالة إلى ستيفن.. كان من الممكن أن تأخذها بنفسها لولا أنها ليست على ما يرام.

إيجاد مكان ستيفن لم يكن بالأمر الصعب.. وجدت لوحة مميزة على باب المكتب.. لكن قبل أن تصلها توقفت تنظر حولها.. بدت الأراضي حول المزرعة مزيجاً من الألوان الحمراء والبنية والخضراء، وأكثرها خضراء. وقررت أن هذا التمازج المذهل في الألوان لا بد أن يكون الربيع وأزهاره.. ودهشت بالاتساع الذي يبدو أن لا نهاية له للمنطقة.. في انكلترا، الأفق لم يكن يبدو بعيداً هكذا..

كان باب المكتب مفتوحاً، تحرك شخص في الداخل وهي تقف لحظات أخرى تستمتع بالمساحات الرائعة المدهشة.. وقالت لستيفن ضاحكة:

ـ يجب أن أكون حذرة.. فلو رأيت الكثير من هذا الجمال فلن أرغب في العودة إلى الوطن.

رد صوت عميق وهي تدخل المكتب:



ـ لا شك أنك ستعودين حين يحين الوقت.

أجفلت مندهشة: لوك!

وهي تحس بحركة ارتجاف لشيء لا تعرف له اسماً يتسلل إليها، ابتلعت ريقها ونظرت بسرعة إلى ستيفن.

ـ عمتي اليكسا تسأل ما إذا كان بإمكانك أن تتصل بمحلات باربي في البلدة لتسأل ما إذا كانت أغطية المقاعد قد انتهت أم لا.

تنهد ستيفن:

ـ إنها قلقة حول هذه الأغطية منذ عرفت أنك قادمة. لكنني سأسأل.

ثم أخذ يقلّب في كومة أوراق وكأنه يدل على أنه مشغول.

نزل لوك عن الطاولة حيث يجلس، وتقدم إلى زيتا، عيناه تقومان بجردة خاصة بهما.. وابتسم ساخراً:

ـ صباح الخير.. أنا كذلك قادر على الإعجاب بما أرى. تبدين فاتنة.. كل ما تحتاجين إليه هو قبعة تستطيع إيجادها لك في المخازن.. ثم سأحملك في نزهة على ظهر جواد.

كلامه المتعمد جعلها تتوتر:

ـ أوه.. أرجوك.. لا داعي لهذا.

أحست أن خشخشة الأوراق بين يدي ستيفن أصبحت صمتاً ساخطاً.. وتذكرت وعدها له.. قال لوك بصوت قاطع:

ـ بل هناك حاجة. كما كان يقول ستيفن ليلة أمس، من المهم أن أرى بالضبط ما أنت قادرة عليه.

تجاهلت سعال ستيفن المحذر:

ـ لا أريد إزعاجك. ألست مشغولاً؟

قال بتكاسل:

ـ ومتى كانت فتاة جميلة مثلك مصدر إزعاج؟

أمسك ذراعها وقادها بحزم إلى خارج المكتب.

## ٣ـ القريبة العدوة

خارج المكتب، بينما كان لوك يجرها من ذراعها ارتضت أول شيء فكرت به:

ـ ألا يجب أن أحضر سترة؟

بعد أن مرّر عينيه عليها بنظرة خاطفة، ضحك وكأنما عرف نيتها:

ـ أنت لست في بلادك الآن زينا.. وبما أننا لم نصل بعد إلى موسم المطر، فلست بحاجة إلى سترة.

وللمرة التي لا عد لها تساءلت كيف يمكنه إزعاجها بمثل هذه السهولة.. في المخازن، وهو ينتقي لها لفعة ويضعها ساخراً على رأسها الأشقر، حاولت أن لا تلاحظ المشاعر التي كانت تثيرها أصابعه وهو يثبت الرباط تحت ذقنها الصغير المستدير.

ولدهشتها، وجدت الجوادين مسرجين منتظرين. وقال لوك:

ـ كنت سآتي لآخذك من المنزل.

وضع يديه على خصرها، وأجفلها برفعه لها إلى ظهر فرس صغيرة جميلة. وتحركت الكستنائية جانبياً، لكن بكلمة منه عادت إلى الهدوء. ولم تستطع زينا منع نفسها عن السؤال بذكاء:

ـ أما كان يجب أن تنتظر لترى ما إذا كنت قادرة على الركوب لوحدي؟

ـ لكنك قلت إن لديك بعض الخبرة، والركوب هو عادة أول ما يتعلمه المرء.. كنت فقط أوفر الوقت.

احمر وجهها قليلاً، وهزت كتفيها . . مع لوك لا يبدو أنها قد تربح!

ـ ربما لم أكن أنتظر أن تصدقني!

رد بنعومة:

ـ ولماذا تظنين هذا . . عجباً؟

لم ترد، بل راقبته وهو يمتطي جواده . . وعلقت أنفاسها وهي ترى كيف أن الرجل والجواد يبدوان ساحرين معاً . . وأشاحت بعينيها عن شكله الآسر .

فيما بعد تجرأت على سؤاله عن رأيه فيها . . فأدار رأسه وابتسم ساخراً:

ـ أفترض أنك تشيرين إلى طريقة ركوبك؟

وأطلقت تنهيدة سخط: طبعاً!

ازداد عمق ابتسامته:

ـ أردت فقط أن أتأكد من أنني لن أتورط في سؤال شخصي . . لا شيء خاطىء في تعاملك مع جوادك . أعتقد أنه كان لك معلم جيد . . كل ما يلزمك هو الكثير من التدريب والثقة بالنفس .

ـ أعرف هذا . . فتاة صديقة لي علمتني وهي ممتازة، لوالدها أملاك واسعة قرب البلدة التي نعيش فيها . لكن ليس لديّ الفرصة للذهاب إلى هناك دائماً . . ولا أملك جواداً خاصاً بي .

ـ يقول ستيف إنك تعملين ساعات طويلة في متجر والدك؟

ـ والداي يذهبان إلى الكثير من المبيعات بالمزاد . أحياناً يبقيان طوال النهار .

ـ أنت صغيرة جداً ليتركا لك المسؤولية .

ـ الكثير من الشبان في مثل سني يديرون أعمالهم الخاصة، وإذا كنا فعلاً مشغولين بإمكاننا دائماً أن نجد من يساعدنا .

لم يقل لوك شيئاً إلى أن وصلا ظلال مجموعة من الأشجار . . لم يكن هناك الكثير منها . . مع أن الأراضي الممتدة إلى البعيد كانت جبلية وعرة .

معظم الأرض التي مرا فوقها، كانت بنية اللون جافة، مشققة.. مع اتباع تعليمات لوك ثبت لها أن الركوب سهل، لكنه حذرها من بعض مخاطر الطبيعة التي يجب أن تحذر منها.

أكمل يقول لها:

ـ الأراضي الصحراوية قد تكون صديقاً أو عدواً.. وهذا يتوقف على كم يعرفها المرء جيداً، وكيف يتعامل معها. ومن الأفضل معاملتها باحترام.

توقفا تحت ظل شجرة مطاط ضخمة، وترجلا. بعد ربط الجوادين، أمسك لوك بذراع زيتا لبريها شجرة «بوب» أو ما يعرف بالشجرة الزجاجة. جذعها الضخم المنخفض كان فارغاً من الداخل.. وقال لها إنها كانت تستخدم سجوناً مؤقتة في الزمان الغابر.. وصاحت تنظر إليه بفزع:

ـ هذا رهيب! أتمنى لو أنك لم تريني إياها.

نظر إليها مبتسماً وهما يعودان إلى جواديهما:

ـ نسيت أمر قلبك الحنون الحساس.. لماذا لم تتزوجي بعد؟ أم أن الزواج يبدو لك كالسجن كذلك؟

هزت رأسها نفياً.. لكنه رفض الاكتفاء وأعاد طرح سؤاله بخفة:

ـ ألم تلتقي بشاب رغبت في الزواج منه، زيتا؟

تراقصت دقات قلبها وبدأت تتسابق.

ـ لا!

وكرهت الابتسامة البطيئة التي أخذت تنتشر على وجهه.

وكررت:

ـ لا.. وأنت؟

ضاقت عيناه، ثم استرخى:

ـ هل لك قدر محدد من الحق لتسأليني؟

كارهة مراوغته، أحست بالسخط:



ـ أنا على الأقل أعطيتك رداً!

قال مستهزئاً:

ـ أجل.. أعطيتني رداً.. وتعتقدين الآن أنني مدين لك برد.

ـ لست مديناً لي!

وضع يده بتكاسل على غصن الشجرة، ونظر إليها:

ـ أنا لا أحترم الفضول الوقح.. الكثيرات من النساء أردن أن يعرفن لماذا لم أتزوج.. لكن بعضهن كان يحبني.

سخرت منه:

ـ هذا أمر لطيف.. لكن كيف تكون متأكداً؟

ـ قلن لي بأنفسهن.

اتسعت عينا زيتا:

ـ حسناً.. أولم تحب واحدة منهن؟

ـ أحياناً كنت أحس برغبة فيهن.. لكن لا ليس أكثر من هذا أبداً.. وبكل تأكيد لم أرغب في أن أقدم لإحداهن خاتم خطوبة.

طار طائر لم ترَ بمثل ألوانه من قبل بين غصون الشجرة.. لكنها بالكاد لاحظته.. فقد كانت رؤيتها مركزة على الرجل الذي يقف بجوارها.. ونظرت إلى الأرض تسأل:

ـ ألا يحتاج رجل مثلك إلى زوجة تساعده اجتماعياً؟

ـ وهل تحاولين إقناعي؟

قفزت كمن أحس بلسعة، واحمر وجهها بلون قرمزي.

ـ بالطبع لا! لقد التقينا لتونا!

حين أجفلت زيتا لكلامه، بدا عليه الخجل من نفسه:

ـ أنا آسف زيتا.. لكن الحقيقة أنني لا أقيم في ذات المكان طويلاً.. أشهر هنا، شهر هناك، معارض بيع الماشية، المزادات.. اجتماعات عمل في معظم المدن الرئيسية.. وأنا كذلك خبير بالحيوانات.. وهذا يعني اضطراري إلى السفر العاجل إلى أية زاوية في العالم في أية لحظة، فهل من

العدل أن أطلب من أية امرأة أن تشاركني مثل هذه الحياة؟

ـ ألا يمكن أن تسافر معك؟

ـ عظيم! إلى أن يصل الأولاد.

ـ يبدو لي أن جيبك يتسع لأجر مربية.

نظر إليها بعينين مرحتين:

ـ بل نصف دزينة إذا كان هذا يحل المشكلة.. لكنني أشك في هذا. فالنساء المخلوقات المليئات بالأمومة نادراً ما يرغبن في فراق أطفالهن لأكثر من يوم أو يومين.

نصحته باستعجال.

ـ لا تنجب أطفالاً إذن.

طافت عيناه فيها بكسل:

ـ وهل توافقين على اقتراح كهذا؟

ابتلعت ريقها، حلقها يجف فجأة، وأنفاسها تتسارع.. وقالت بسرعة:

ـ ربما من الأفضل أن تهتم بشؤونك.

ـ كنت سعيداً بالاهتمام بشؤوني.. حتى الآن.. مع ذلك لا تتصوري أنني كنت أحصل على النساء واحدة بعد أخرى. حتى الآن لم أكترث بأية علاقة دائمة.

أجفلت وازدادت حرارة خديها.. أيمكن أن يكون يلمح إليها؟ ثم جاءها الرد بسرعة.. لا.. بالطبع لا!

ـ أتعني أن لك.. صديقة في الوقت الحاضر؟

ضحك بخشونة: لست متأكداً.

إذن لن يفصح لها عن شيء.. وتجنبت عيناه بحذر، تعي تماماً خطورة التورط معه بعمق.. وأدارها نحوه بعد أن أزال قبعة الركوب عن رأسها وتركها تسقط على الأرض، ولف ذراعيه حولها يقربها إليه، ورفع ذقنها بحزم.



كانت زينا تعي كل حركة له.. لكن بالرغم من خوفها السابق لم تجد رغبة في مقاومته.

التفت نظرته المتسائلة نظرتها مع شيء من التسلية:

ـ ألن تقاومي أو تضربيني؟ أو أي شيء آخر؟

ـ لو فعلت، فهذا سيشجعك أكثر!

ـ بإمكانك القول إنك لست ذلك النوع من الفتيات.

أحست زينا بالتوتر فجأة، بينما كان شيء لم تدرك كنهه في تعبيره يحذرها أن من الحكمة أن تتبع اقتراحاته.. ولزمها الكثير من قوة الإرادة لتبقى هادئة وهي ترد:

ـ لا أظن أنني ذلك النوع الذي كنت تفكر به، حين قلت هذا!

رفع حاجبيه بسخرية:

ـ على الأقل، أنت واثقة من نفسك! ولست أدري هل أعجب بنفسي أو لا.. لو كنت أثرت عليك، ألا يجب أن ترتجفي بين ذراعي؟

ـ حتى الآن لم تفعل شيئاً يجعلني أرتجف.

كلامه كان يحولها بسرعة إلى كتلة هشة مرتجفة:

ـ إذن الغلطة غلطتي؟ قصر نظر مني؟

ابتسم بكسل يشدها ببطء متكاسل إليه.

لم يكن رد فعلها كما خططت.. فهي لم تتمكن من السيطرة على رد فعلها الطبيعي.. لكن، وفي لمحة من الثانية قبل أن يضمها لوك، أدركت أنها كانت حمقاء في استهتارها بالأمر، فهو ليس صبياً غراً يسهل التعامل معه.. إنه رجل..

اشتدت دائرة ذراعيه بحدة، وتوقف تنفسها وهي تنتظر حركته التالية.. فتحت أصابعها العالقة على صدره في احتجاج أخرس محاولة دفعه بعيداً.. ثم ارتجفت وأحست بمشاعر متدفقة تحل مكان مشاعرها المقاومة.

ثم أبعدها عنه بسرعة، وفضحت عيناها ارتباكها حتى وهي تحرك

شفتيها بسؤال أجش متهدج: لماذا؟

وتأوهت عالياً بعد أن هبطت يداه عنها.. وهز رأسه، وجهه متصلب.

- لن تسألي هذا السؤال بعد أسبوع أو اثنين يا طفلتي لو استمريت فيما تفعلينه.. إذا كنت تسعين إلى علاقة عطلة عابرة.. يجب أن أعطيك الوقت لتتأكدي مما تفعلين!

بدا كلامه الصريح معقولاً.. لكن زيتا لم تفهم معنى التهديد المختبىء، والتهديد موجود، إنها لا تشك في هذا أبداً.. كان يزداد وضوحاً لها أنه يعرف أو يشك في شيء لا تعرفه. هل له علاقة بآيان؟ هل يعتقد لوك أنها في خطر الوقوع في غرام ابن عمتها ويتصور أن غزلاً خفيفاً منه قد يمنع هذا؟

عادا إلى المنزل بصمت.. زيتا لا تزال تشعر بذهول بسيط، لكن بالرغم من مخاوفها المسيطرة عليها لم تكن تعيسة..

قرب المنزل، سألها ما إذا كانت ترغب في مشاركته الغداء.. فقد تجاوزت الساعة الثانية.. ولا شك أن أليكسا وستيفن أنهيا الغداء حتى الآن. لكنها رفضت، وهز رأسه وكأنه لا يهتم سواء قبلت أم رفضت.. لكنها لم تبتعد أكثر من بضع خطوات حين استدعاها ونصف ابتسامة على شفتيه:

- تجعليني أنسى.. أمي طلبت مني أن أسألك ما إذا كنت ترغبين في تناول الشاي معها بعد الظهر.. حوالى الساعة الرابعة.

ترددت زيتا ثم قالت بصوت أجش:

- لا داعي لأن تكون أمك لطيفة معي.

- لا.. ليست مضطرة.. لكن كما فهمت، المسألة أنها تنوي أن تجعلك أنت لطيفة معها. إنها تريد الذهاب إلى البلدة غداً.. وتأمل أن تقودي لها السيارة.

أحست زيتا بابتهاج:



- سأكون سعيدة.. لكنني.. أعني، إذا كان لديها سائق ألا يعني هذا أنني أحرم شخصاً آخر من عمله؟

- إنها عادة تقود بنفسها.. لكنها آذت ذراعها منذ أسابيع ولا تزال تؤلمها إذا استخدمتها لوقت طويل.. وأعرف أن القيادة تزيد من سوء حالتها.

أكدت له زيتا بوقار:

- في هذه الحالة سأحب أن أفعل، لكن لا داعي لأن تدعوني إلى الشاي.

نظر بسرعة إلى ساعته:

- ليس لدي وقت لأجادل زيتا.. كوني هناك فقط.

- حسناً.

ونظرت إليه أطول مما كانت تنوي، وبهزة رأس بسيطة تركها وابتعد.

لم تبدُ العمة اليكسا مستاءة أبداً لتأخر زيتا، وقالت ضاحكة:

- هناك الكثير من اللحم والسلطة.. في منتصف النهار وفي هذا الطقس، الشيء الوحيد الذي أتمتع به ساخناً هو القهوة.

وهي تأكل، قالت زيتا لعمتها إنها تمتعت بنزهتها مع لوك. وأكملت ضاحكة:

- على الأرجح سأكون «متشنجة» في الصباح.

- أوه عزيزتي.. لا أرجو لك هذا.. المحل أنهى أغطية المقاعد لي، وكنت أتساءل عما إذا كنت مستعدة لأخذي إلى هناك لأجيء بها.

ابتسمت لعمتها:

- أجل بالطبع.. أوه.. كدت أنسى.. أعتقد أن والدة لوك تريدني أن أقلها بالسيارة إلى هناك.

قالت اليكسا بسعادة:

- لا يهم.. لن تمانع في وجودي. لطالما كنت أذهب معها لمجرد

الصحبة.. فأنا أتمتع بالخروج أحياناً، خاصة وأن عمك ليس لديه الوقت ليأخذني إلى أي مكان.

صبت زيتا لنفسها كوب عصير برتقال.. ثم قررت الاستحمام قبل الذهاب لرؤية السيدة هارلي..

في وضح النهار، ترك منزل لوك انطباعاً أقوى مما تركه ليلاً.. الحدائق كانت مرتبة جيداً شديدة الخضرة.. كانت الأشجار تحد الممرات هناك وكان هناك الكثير من الزهور.. قرب نهاية الحديقة، رأت ملعب تنس إلى جانبه ظليلة، عرفت أن خلفها بركة سباحة.

تجنبت زيتا الباب الأمامي وتسللت إلى الباب الخلفي حيث رحبت بها مديرة المنزل بابتسامة ودية، وقالت إن زيتا لم تتأخر.. بل في الوقت المناسب تماماً.

كانت السيدة هارلي في غرفة الاستقبال، وابتسمت:

ـ ادخلي زيتا.. لطف منك أن تعطفي على امرأة عجوز!

أجفلت مديرة المنزل لكلامها وتصلبت، وأحست زيتا بالابتهاج.. فالسيدة هارلي لن تبدو أبداً عجوزاً.. كان لها عقل راجح، وحيوية مماثلة، وتعابير حية أورثتها دونما شك إلى ابنها.

رفضت مديرة المنزل الانضمام إليهما:

ـ لدي وصفة طعام جديدة أريد أن أحفظها.

قالت السيدة هارلي بعد خروج المرأة:

ـ بيرتا عزيزة.. لست أدري ما قد أفعل دونها.

ردت زيتا بأدب:

ـ لا بد أن المكان موحش هنا في غياب لوك.

أشارت لها أن تجلس في مقعد:

ـ أجل.. ولا.. لدي الكثير من الصديقات، وأسافر أحياناً.. ويجب أن أعترف مع ذلك أنني أتوقع بشوق اليوم الذي يتخذ فيه لوك لنفسه زوجة. كم أحب أن أرى هذا المنزل مليئاً بأحفادي.



أسبلت زيتا جفنيها لمنع ظهور دهشتها.. ألا تعرف السيدة هارلي وجهة نظر ابنها في هذا الموضوع؟

ـ هناك مكان واسع هنا بكل تأكيد.. ألا يضع لوك أحداً في تفكيره؟

تنهدت:

ـ ليس أحداً أعرفه.. هناك الكثير من الفتيات يتمنين الزواج به لكن ما من واحدة منهن يبدو أنه مرتاح لأن يستقر معها.. وما علي سوى الانتظار.

تمتمت زيتا أن الشاي لذيذ ووافقت السيدة هارلي وطلبت منها تذوق البسكويت.. ثم بدأت تتكلم عن كتفها التي تؤلمها، قالت تشرح:

ـ أنا أتلقى العلاج، لكنه سيستغرق وقتاً.. وإذا أمكن أن توصليني إلى البلدة صباح الغد ستكون مساعدة كبرى.

قالت زيتا إنها ستكون سعيدة، وذكرت لها العمة اليكسا.. ووافقت السيدة هارلي بابتسامة على مجيئها.

وأردفت زيتا وهي تبتسم:

ـ من المؤسف أن عمتي اليكسا لم تتعلم قيادة السيارات أبداً. فالعم ستيفن وآيان مشغولان عادة، ولا يستطيعان أخذها إلى أي مكان.

ظهر تعبير حذر مكان الابتسامة على وجه المرأة.

ـ حسناً.. أنا أحاول دائماً أن أتأكد من أن لا ينقصها شيء.. عمك نادراً ما يغادر كولاري إلا لعمل خاص به، وابن عمتك غائب دائماً ولأسابيع أحياناً.

نظرت زيتا إليها بسرعة:

ـ هل يزور آيان مزارعكما الأخرى؟

ردت بحدة:

ـ لا.. لا يفعل.. ولن يكون الأمر سيئاً هكذا لو أنه يفعل. لا أحد يعرف إلى أين يذهب، ويختفي عادة حين تكون الحاجة إليه ملحة. والده لا يوافق على هذا طبعاً.. لكنه لا يستطيع فعل شيء.. في أحد الأيام،

أفكر أنه لن يعود.. لكنه حتى الآن ما زال يعود.

قررت زيتا أن لا شأن لها بهذا.. فإن أفضل العائلات لها مشاكلها.. وفي عائلتها مشاكل مماثلة.. لكن السيدة هارلي ألمحت إلى شيء أكثر من الخلافات المنزلية.. وكرهت زيتا أن تتحدث عنها.. إذا كانت المسألة جدية جداً، فيكل تأكيد ستحدثها عمتها بالأمر في النهاية.

دخل لوك وبدت الدهشة على أمه.

ـ لم أتوقع رؤيتك!

جلس بكسل على صوفا قريبة:

ـ لقد عدت أبكر مما توقعت.

أدار رأسه يتفحص زيتا بفستانها الأزرق القطني، فستان صيفي بلا أكمام ما كانت لترتديه لو أنها عرفت أنه سيكون هنا.. أخذت عيناه تستكشفانها ببرودة لكن باهتمام.. هل يُظهر دائماً هذا الاهتمام الساخر بالفتيات اللواتي يعرفهن منذ يوم أو يومين فقط؟

كان مضطراً لحجب نظره عنها حين تقبل فنجان الشاي من أمه..

لكن سرعان ما استعادت زيتا اهتمامه وقال لها:

ـ وجدت رسالة من عمك يقول فيها إنه أخذ عمتك اليكسا إلى البلدة لتأتي بأغطية المقاعد.. ولن يعودا حتى وقت متأخر.

أبعدت الحيرة زيتا عن التفكير الذي كانت مستغرقة فيه، وسمعت شهقة ذهول السيدة هارلي:

ـ أوه.. من الأفضل إذن أن أعود إلى المنزل.. إذا كانت عمتي غائبة فلن يكون هناك أحد يحضر العشاء لآبان.

قال لوك ببرود دون أن يرفع نظره عن وجهها:

ـ هناك رسالة منه أيضاً، لقد سافر إلى «بورث هيرلاند» ولن يعود قبل الغد.

همست دون أن تفهم شيئاً: فهمت.

وظنت أنها سمعت لوك يتمتم:



ـ وأنا كذلك.. على ما أعتقد!

نظرت إليه فأكمل ببرود:

ـ من الأفضل أن تتناولي العشاء هنا زيتا.. فلا معنى لقضاء الأمسية لوحدك في بيت فارغ.

قالت السيدة هارلي بلطف هادىء:

ـ أجل، ابقي عزيزتي.

كانت على وشك أن تشكرها وتوافق حين جاء صوت من الردهة ينادي:

ـ هل هناك أحد في المنزل؟

دخلت سمراء بنية الشعر رائعة الملبس والزينة.. ونظرت زيتا إلى فستانها البسيط وتنهدت..

انتقلت نظرة السمراء من صينية الشاي إلى لوك:

ـ مرحباً خالتي مونيكا.. جلستكم حيمة! مرحباً حبيبي.. منذ متى وأنت مدمن شاي بعد الظهر؟

ضحك لوك ووقف، والفتاة تتهادى نحوه:

ـ أنا أحبه كثيراً حين تسنح لي الفرصة.

مدت نفسها تطبع قبلة حارة على خد لوك، تاركة آثاراً سخية من الأحمر على وجنتيه..

ـ سمعت أنك في البيت حبيبي، فكان عليّ أن آتي لأراك.

قال مبعداً نفسه عنها:

ـ هذا لطف منك سابينا.

وأخرج منديلاً يمسح أحمر الشفاه عن خديه، ولمعان التسلية في عينيه.

ابتسمت السيدة كلير في وجه سابينا:

ـ رائع رؤيتك.. تعالي واجلسي لتخبريني ماذا كنت تفعلين.

مع جلوس سابينا، لاحظت زيتا أن السيدة هارلي لم تحاول صب

الشاي لها . . وبسرعة قدمت السيدة هارلي زيتا .

ـ عزيزتي سابينا . هذه الآنسة دراك . . ابنة أخ اليكسا . . من انكلترا . . زيتا هذه السيدة رايون .

جمدت ابتسامة سابينا، عيناها البنيتان مرتا بسرعة فوق زيتا بعدم رضى لم تحاول إخفاءه: حقاً؟

ثم أشاحت بعينيها دونما اكتراث وتحدثت إلى السيدة هارلي:

ـ هذا مثير للاهتمام . . هل ستبقى طويلاً؟

اليد التي مدتها زيتا للمصافحة بكل أدب وقعت إلى جانبها . . لسبب ما لم تكن السيدة رايون راغبة في النظر إليها ومصافحتها . . وتساءلت زيتا في نفسها أين هو زوجها . . أم أنها مطلقة، أو أرملة . . وتدخل لوك يتكاسل ليقول إن زيتا ستقيم هنا ستة أشهر . . وشحب لون سابينا .

راقبته زيتا بعينين واسعتين وهو يجلس إلى قربها ويهمس لها شيئاً وهو يبتسم . مهما كان ما يهمسه في أذنها، لم تستطع زيتا إلا أن تلاحظ أنه أبهج سابينا، وبدأت تظهر مسرورة بنفسها . . ثم مررت أصابعها على ظهر لوك القوي العضلات، ولاحقت زيتا حركاتها محاولة أن لا تستسلم لشعور الغثيان .

مع تحول الحديث إلى العموميات، قالت سابينا:

ـ لقد فكرت لوك أن تلعب التنس قبل العشاء .

قررت زيتا أن هذا يستثنيها . . فقفزت واقفة .

ـ أظن من الأفضل أن أعود إلى المنزل على أي حال .

نظر إليها لوك متجهماً:

ـ هل تلعبين التنس زيتا؟

ابتسمت بخشونة:

ـ أجل . . لكنني لم ألعب كثيراً منذ تركت المدرسة .

عبست سابينا وكأن مضامين سؤال لوك لم تعجبها . . ثم ابتسمت



ابتسامة مصطنعة وهي تمسك يده .

ـ لم لا تدعوها للانضمام إلينا حبيبي؟ . . يجب أن نكون لطفاء مع زوارنا القادمين عبر البحار . أليس كذلك؟ خاصة وهي قريبة لستيفن!

بنظرة حادة إلى سابينا، حرر يده:

ـ كنت على وشك فعل هذا .

وتقدم إلى زيتا . . ليعطيها تعليمات لم تجد الشجاعة أن لا تطيعها .

ـ اذهبي إلى المنزل وارتدي ثياب التنس . . ثم عودي لتنضمي إلينا في الحديقة . . ملعب التنس من السهل إيجاد مكانه .

كانت زيتا قد أحضرت معها بنطلون رياضي قصير كانت ترتديه للألعاب الرياضية في سنوات المدرسة . منذ ذلك الوقت لا بد أن ساقيها أصبحتا أكثر طولاً وأكثر نحولاً، فالبنطلون القصير الآن بدا واسعاً وأكثر قصراً . . وبما أنها لا تستطيع فعل شيء به الآن، ربطته على خصرها بأفضل طريقة ممكنة وعادت إلى المنزل الكبير . . هل يحب لوك السيدة رايون؟ كانت تعرف مع أنها لا تجرؤ على التفكير بالأمر، أنها لا تريد أن يحب أحداً سواها، حتى أنها بدأت تتألم!

في ملعب التنس كان لوك وسابينا ينتظرانها . واستدارا معاً لتتفحص سابينا جسد زيتا الصغير النحيل بنظرات مهينة .

ـ لو لعبت التنس أكثر وسبحت دائماً قد تزيدين قليلاً في الوزن والطول . . تبدين وكأن نفخة ريح قد تقذفك إلى البعيد!

قال لوك ممازحاً:

ـ ما عدا في بعض الأماكن .

أدارت زيتا رأسها فوق عنقها الطويل، كي لا يريا تغير لونها . . وردت بخشونة:

ـ في انكلترا لا نحصل على مثل هذا الطقس الداقىء .

التفتت سابينا إلى لوك:

ـ ماذا لو وجدنا آيان لنلعب لعبة رباعية .

ـ لقد سافر إلى بورت هيدلاند.

ـ حقاً؟

أدهشت سابينا زيتا بإظهارها لغضب مفاجيء أخفته على الفور.. ولم يبق سوى لمحة منه في صوتها وهي تكمل صائحة بحدة:

ـ لست أدري لماذا تتحمله لوك، حبيبي!

رد ساخراً:

ـ ربما لأنه نوع من ابن العم، مثلك تماماً.

إذن سابينا من الأقارب، ولو لم تكن قريبة جداً.. وكان يجب على زيتا أن تلاحظ هذا من تصرفاتها.. أثار سخطها أن ترى الطريقة التي تتعلق فيها الفتاة الأخرى بذراع لوك وكأنها لا تستطيع الوقوف على قدميها دون مساعدته.

عرفت زيتا أن سابينا أرملة.. في طريقها لإحضار ثياب الرياضة خرجت عبر المطبخ.. وحين شرحت ماذا تريد أن تفعل، سألتها بيرتا ما إذا كانت تعرف هل ستبقى سابينا أم ترحل قبل العشاء.. حين ردت دونما ارتياح أن السيدة رايون ستبقى، تنهدت بيرتا وقالت إن سابينا أرملة، وإن ليس لديها شيء في منزلها تذهب إليه.

وفكرت زيتا تنظر إلى الأفق البعيد.. إذا كانت سابينا أرملة.. أيمكن أن تأمل في جعل لوك زوجها الثاني؟

بالتأكيد يبدو أن الأمر هكذا!

* * *

# ٤ ـ يجب أن لا تنسي

قرر لوك وسابينا أن تلعب سابينا وزيتا أولاً، ثم يلعب لوك مع الرابحة.

بالطبع خسرت زيتا، لم تكن على مستوى لعب سابينا وإرسالاتها القاتلة، ورداتها الخلفية. ولعبت سابينا بتشفٍ غير مكترثة بأن تخبىء ازدرائها حين أفلت شعر زيتا من رباطه خلف رأسها، مما جعل لعبها أكثر سوءاً لالتفافه حول وجهها الحار..

وأحست أن عينا لوك تفارقانها وأنه كان مبتهجاً بنصر سابينا.

حين جاء دوره، حاولت ألا تتمتع برؤيته يهزم سابينا إلى حد الإرهاق.. وحاولت كذلك أن لا تصدق أنه لعب لعبة عقاب متعمدة لينتقم لابنة أخ البكسا الصغيرة.. حين اعترفت سابينا بالهزيمة دون تسجيل أية نقاط، أحست زيتا بالحزن على الفتاة الأكبر سناً، التي بدت مرتبكة ومنزعجة.. وقالت سابينا متشدقة:

ـ لعبك تحسن جداً منذ آخر مرة لاعبتك فيها، حبيبي لوك.

رد بإيجاز وهو يضع يداً تحت مرفق زيتا:

ـ ربما لم أحاول جدياً من قبل.. تعالي زيتا، فلنسبح جميعاً قبل العشاء.

في البركة، وبثوب سباحة وجدته في غرفة الملابس، نجحت زيتا أكثر مما فعلت على ملعب التنس.. كانت سابينا تسبح بتفوق، لكن زيتا هذه المرة لم تحاول منافستها..

اختارت سابينا أن تتجاهل زيتا، طالما ابتعدت زيتا عن طريقها. لكن لوك كان يعود إلى جانب زيتا دائماً، لم تكن واثقة تماماً ما إذا كان هذا جيداً أم لا.. كانت تشعر بالبرد بالرغم من برودة الماء وذلك من نظراته الساخرة التي كانت تعيد السخونة إلى جسمها.. وكانت دائماً تعي بشكل رهيب قوة جسده الرشيق.

ما الذي دهاها؟ سألت نفسها بغضب، ثم تجاهلت الرد.. لماذا لا تضحك وتقول شيئاً بدل أن تطرف عينيها أمامه؟ ما الذي تطلبه منه؟ الرحمة؟ بالنسبة له هذا أمل لا جدوى منه. إنها واثقة أن في شخصيته كمية من القسوة، ولو أنها مخبأة معظم الوقت خلف عينيه الكسولتين.

التفت ذراعه حول خصرها فجأة، ولم تدرك أن لونها شحب قبل أن يسأل:

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.

وبغضب، غاصت بعيداً عنه قبل أن تتذكر إقفال فمها، واضطرت إلى الخروج من الماء تشرق وتكاد تختنق.. قالت شاهقة:

ـ أرجوك.. قل لأمك إنني أريد القيام بشيء ما في منزل عمتي..

واتسعت عيناها وهو يصل إلى خلفها. وتمتمت متلعثمة:

ـ هل.. سمعت ما قلت؟

ـ لا.. لم أسمع.. فأنا أصمّ! لكن عودي إلى هنا في أسرع وقت ممكن بعد أن ترتدي ملابسك، وإلا سآتي لأجرك إذا لزم الأمر.

كانت الأمسية التي تلت بالنسبة لزيتا مزيجاً من الضغط العصبي والإحباط.. ولكن لم تخلو من لحظات سعادة.. أما الإحباط فقد كان من الإصغاء إلى سابينا ومن معرفتها بأن سابينا تعرف لوك منذ طفولتها، وبهذا تعرف عنه أكثر بكثير مما كانت تأمل هي عنه.. أما نظرات لوك المصوّبة عليها دائماً فقد كانت تُشعرها بالسعادة والدفء في عينيه، بالإضافة إلى تعمده إشراكها في الحديث كلما حاولت سابينا استثناءها.



كل هذا وتر أعصاب سابينا حتى أنها قررت معاقبة لوك بالمغادرة باكراً.. وهو يوصلها بأدب إلى سيارتها.. تمتمت زيتا باعتذار متسرّع للسيدة هارلي وغادرت.

لم تكن بيرتا موجودة حين خرجت عبر الباب الخلفي.. كل جهودها ضاعت هباءً مع وصول لوك قبل أن تبتعد.

ـ لمَ العجلة؟

حاولت تجاهل سخريته المتعجرفة:

ـ كان يوماً طويلاً متعباً.. وأنا واثقة أن العم والعمة سيصلان قريباً.

أمسك ذراعها:

ـ سأدخل معك لأرى.

ـ لا داعي لهذا.

نظر إليها بقسوة:

ـ ألا يمكنك نسيان هذه الكلمات الثلاثة؟

تنهدت زيتا راضية بشكل غريب أن تمسك يده مرفقها، ووجهه المبتسم فوق رأسها:

ـ ظننتك ستطيل وداع السيدة رايون.

اشتدت أصابعه وكأنه يعاقبها:

ـ وهذا ما فعلته.. ولم يشمل سوى إيصالها إلى سيارتها.

أحست زيتا بالدفء مرة أخرى.. انفرجت أسارير وجهها بابتسامة سعادة.. وهي تنظر إلى السماء..

ـ نجومكم هنا مذهلة حقاً.. إنها أكثر إشراقاً من تلك التي في بلادي..

رد بتكاسل:

ـ يجب أن تتوقفي عن مقارنة كل شيء هنا بما لديكم في بلادكم.

وبدا أنه مهتم بوجهها أكثر من اهتمامه بالنجوم.

ـ المنظر مختلف فقط.. من الممكن أن تكون أوستراليا وخاصة في مناطق كهذه، مكاناً حاراً من الصعب العيش فيه.. تمر بنا أيام تكاد لا تنخفض الحرارة فيها، بحيث يتساءل الرجل إذا كان من العدل أن يطلب من أية امرأة أن تشاركه هذا الطقس.

دن تفكير قالت:

ـ أحب الحرارة.

قال بوقار ممازحاً:

ـ أيمكن أن تكون هذه محاولة إقناع مستترة؟

ضحكت زينا ضحكة جوفاء قصيرة، ثم ابتلعت غصة حرج في حلقها.

ـ كنت فقط أشير إلى أنني إذا استطعت تحمل الحرارة هنا، فهذا يعني أن الفتيات المولودات هنا لا مشكلة لديهن.

ـ حتى الفتيات المولودات هنا غالباً ما يجدن الطقس شديداً على احتمالهن.

ـ لا أرى سبباً لهذا.. لو أنني..

وصمتت مدركة أنها كانت على وشك أن تعلن أنها لو أحبت رجلاً وتزوجته فلن تمانع أين تعيش معه.. وماذا كان لوك هارلي سيفكر بها لو قالت هذا؟

سمعته يقول ساخراً:

ـ ماذا كنت ستقولين؟

واحمرت وجنتاها هي تشك في أنه قرأ أفكارها. كانت ممتنة لوصولهما إلى باب منزل ستيف كي لا ترد عليه.

ـ لا يهم.. أستطيع تدبير أمري الآن لوك.. كان لطفاً منك مرافقتي.

تقبل شكرها المقطوع الأنفاس، لكنه لم يقبل صرفه الفوري.

ـ سأرافقك إلى الداخل.



ـ لا داعي..

أحست زينا أنها ارتفعت عن الأرض إلى داخل الباب قبل أن تكمل احتجاجها.. وقال بحدة:

ـ ماذا قلت لك؟ ألا تصغين أبداً لما يقال لك؟

بعد إغلاق الباب خلفهما، تخلصت من قبضته وصاحت بحدة:

ـ تجعلني أحس أنني في العاشرة من عمري! ألا تريد أن تضعني في السرير؟

ـ أنت تضعين الأفكار الجيدة في رأسي.. ألا ترغبين في عناق وداع مساني كذلك؟

لمعت زينا لسانها المتهور الذي يبدو أنه مصمم على إثارته.. وردت بخفة مصطنعة:

ـ ألا تذكر؟ أعتقد أنني حصلت على عناق المساء حين خرجنا معاً هذا الصباح.

ابتسم بشكل مغيظ:

ـ هذا كلام سخيف.. وكيف لي أن أنسى! لكنني أحب أن أقول: أرجو أن لا تظني أن ذلك كان أفضل ما لدي.

هزت زينا كتفيها، وتصاعد قرصان أحمران إلى وجنتيها ثم اختفيا على الفور.

ـ في الواقع.. أنا لم أفكر بهذا أبداً.

ـ غريب! لأنني أنا.. فكرت بهذا.

لقد فكر بما حدث بينهما هذا الصباح.. وتراقص نبض في منتصف عنقها، يكاد يخنقها:

ـ أعتقد أن من الأسهل على الفتاة أن تنسى.

وتمنت لو أن هذا صحيح.

لمعت عيناه:

ـ يجب أن أتأكد أن لا تنسي بسهولة في المستقبل.

ولم يكن لديها الوقت لتبتعد عنه أو حتى أن تعرف ما سيحدث، قبل أن تطبق ذراعاه حولها وسرعان ما أدركت أن عناقهما السابق لم يكن سوى تحية بسيطة بالمقارنة مع هذا.. مع ذلك حين حاولت مقاومته، وبدلاً من أن تقاوم، وجدت نفسها تتعلق به بجنون..

وهي عالقة في فخ سجن منسي لا اسم له، نظرت إليه وهو يسأل ساخراً:

ـ أتظنين أن هذا سيساعد ذاكرتك؟

فجأة أحست بالخوف.. إنها لا تستطيع مجاراة هذا الرجل.. كانت ذراعاه لا زالتا حولها، تشتدان لو تحركت..

همست: أرجوك.. أتركني.

ـ ليس بعد.

وارتجفت بعد أن أزاح شعرها الكثيف ولف يده وراء عنقها، يشد رأسها إلى صدره.

أبعدهما عن بعضهما هدير سيارة أمام الباب الخارجي.. وعلى الفور تقريباً دخل ستيفن ولحقت به اليكسا.. وبدا الذهول على وجه ستيفن لرؤيته لوك، وقال لزيتا:

ـ لو كنت أعرف أن معك صحبة.. لما كنت أسرعت بالعودة.

هل كان بحاجة إلى أن يوضح أنه يشك في مقاطعة شيء بينهما؟ وعضت زيتا على شفتها آملة أن لا تبدو مشعثة كما تشعر، وأشاحت بوجهها عن محاولات لوك الباردة إعادة ترتيب شعره.

ردت بأعصاب مشدودة:

ـ ما كان عليك أن تعود مسرعاً.. ما كان سيحدث لي شيء وأنا لوحدي.

ابتسمت اليكسا لها بلطف واتجهت إلى المطبخ:

ـ سأصنع بعض القهوة.

قال لوك إنه لن يبقى وخرج على الفور بعد تبادل كلمات قصيرة مع



ستيفن حول شيء ما في المكتب. ثم نظر إلى زيتا بسرعة:

ـ نصبحين على خير زيتا.. أراك في الصباح.

فرك ستيفن يديه معاً.. يفصح عن سروره حول شيء ما:

ـ فتاة طيبة! كنت أعرف أنني أستطيع الاعتماد على محافظتك على وعدك.

ـ وعدي؟ آه.. أجل.

صفق باب الشرفة وأعلن ستيفن أن الريح كانت تهب وهما قادمان، واتجه ليقفل النوافذ والأبواب.. بينما دخلت زيتا إلى المطبخ لتقول لعمتها إنها لا تريد القهوة، ثم ذهبت لتنام.

استفاقت مبكرة في الصباح التالي مستعدة للذهاب إلى البلدة. عند وصولها إلى منزل لوك، اكتشفت أن السيدة هارلي أمضت الليل تتألم من كتفيها بحيث لم تستطع مغادرة الفراش هذا الصباح. حين وصل لوك وهي تغادر المنزل قالت له بحدة إن عليه استدعاء الطبيب.

ـ لا يمكن للمرء أن يكون شديد الحذر.. قد تكون كسرت شيئاً مرة أخرى دون أن تعي.. تقول أمي إن المرء حين يكبر في السن تصبح عظامه هشة.

رد متعمداً:

ـ من المؤسف أن الفتيات لا يتذكرن كل شيء تقوله لهن أمهاتهن.

واحمرت زيتا خجلاً.

ـ أنا أتحدث عن أمك لوك.

ـ وأنا أتذكر كل شيء تقوله لي.. وإلا لماذا لم أتزوج بعد؟

كيف لم يتزوج بعد.. حقاً! أحست زيتا بدافع مهووس كي تقول له أن يذهب إلى الجحيم! إنها لا تعتقد أنه أصغى إلى نصح أمه منذ كان في المقمطة. وحلت هذه الفكرة المرحة مكان التوتر لتلوي شفتيها وتنير عينيها.. فتنهد ساخطاً:

ـ ماذا يسليك الآن؟

دون تفكير اعترفت:

ـ كنت أحاول تصورك وأنت مقمط.

رد بجفاء:

ـ سيدتي الصغيرة.. لا أستطيع أن أقول إنني معجب بالاتجاه الذي يأخذه هذا الحديث.. إنني متأكد من أنني كنت ساحراً لا أقاوم وأنا في ذلك السن المبكر.. لكنني أظن أننا كنا نتكلم عن أمي.

ـ أنا كنت أتكلم عن أمك! وأنت الذي.. أعني..

قاطعها بنعومة:

ـ تعنين أنك قبل أن تغرقي في أحلام الأمومة كنت مشغولة بالقول لي ماذا أفعل لأمي.

صاحت ساخطة:

ـ لا.. لم أكن هكذا! كنت فقط أقترح شيئاً.. وهذا ليس الشيء ذاته!

فاجأها بوضع إصبعه على خدها.. ثم ابتسم قائلاً:

ـ الطبيب في طريقه إلى هنا.

وتركها.

هل من الممكن كراهية رجل وحبه في آن واحد؟ فكرت زيتا بهذا متجهمة والباب ينغلق خلفه.. إنه دائماً ينجح في أن يثير أعصابها، مع ذلك بدأت تكره طعم الحياة من دونه..

حين جاء ستيفن للغداء، قال لهما إن الطبيب نصح السيدة هارلي بالراحة.. ولا يظن أنها أضرت بكتفها كثيراً باستخدام ذراعها بسرعة.. لكن إذا لم تتحسن فسيصورها بالأشعة مرة أخرى. فيما بعد بعد الظهر، زارت زيتا المنزل لتسأل عن صحة السيدة هارلي وأكدت لها بيرتا ما قاله ستيفن وإنها ستبقي سيدتها في غرفتها لتجبرها على الراحة.

في اليوم التالي اقترحت اليكسا أن تساعد زيتا بيرتا لأن هناك مجموعة من الرجال سيأتون ليلقوا نظرة على ماشية لوك وسيبقون للغداء..



وارتدت زيتا فستاناً أزرق مخططاً قطنياً وانطلقت.. كانت بيرتا سعيدة لأن زيتا ستساعدها وابتسمت:

ـ بإمكانك أخذ فنجان الشاي هذا لها.. وتتحدثين معها قليلاً قبل أن نبدأ.. ستريحين قدماي بهذا.

هزت زيتا رأسها والتقطت «الصينية» لتضيف بيرتا إليها كوباً آخر بسرعة.. ولم تكن السيدة هارلي في السرير بل كانت تجلس مرتدية الروب في مقعد كبير قرب النافذة وبدت مغتبطة لرؤية زيتا.

ـ تعالي واجلسي معي، عزيزتي.. أنا بحاجة إلى تغيير في الصحبة.. بيرتا ولوك عزيزان على قلبي لكنني أسأم من محاضراتهما المستمرة.

بعد قليل من الوقت، سألت زيتا إذا كان هناك شيء تفعله، فأجابت بالإيجاب وأخرجت كومة رسائل وصلت بالأمس، بعضها يجب الرد عليه في أسرع وقت ممكن.. وذراعها ما تزال تؤلمها فلا تستطيع الكتابة.

وعدتها زيتا أن تساعدها فور انتهائها من إلقاء نظرة عمّا يجب أن تساعد بيرتا.. بعد ترتيب مائدة الطعام وترتيب الزهور الطازجة، وتنفيض غبار الفرن في الطابق الأرضي، أخذت دفتر رسائل وبعض الظروف من مكتبة لوك وعادت إلى غرفة السيدة هارلي.

عملتا بثبات لحوالي الساعتين، وكان من السهل التعامل مع السيدة هارلي مقارنة مع العمل مع أبيها الذي كان دائم الشرود.

صاحت السيدة هارلي بابتهاج:

ـ يا له من خط.. وكم هو مرتب! أصدقائي سيتساءلون ما إذا كنت قد حصلت لنفسي على سكرتيرة! أتعتقدين أنك قادرة على مساعدتي، فلتقل، مرة في الأسبوع، وأنت هنا؟

حين أعلنت زيتا أنها ستكون مسرورة ابتسمت السيدة هارلي، وقالت محذرة:

ـ لن أدعك تندمين.. كتابة الرسائل عمل أكرهه.. لكن المسألة أنني أحب أن أتلقاها، وهذا ما يجعل الرد عليها ضرورياً.. وكما ترين،

أنا أشارك في أعمال خيرية كثيرة.

هزت زينا رأسها متعاطفة وهي تتناول الطوابع البريدية التي أعطتها لها السيدة هارلي وتلصقها على المغلفات.. ثم أشارت إلى كومة الرسائل الجاهزة:

ـ هل أتركها معك هنا؟

ـ لا.. خذيها وضعيها على طاولة الردهة.. وسيعطيها لوك إلى الرجل القادم من بيرث.. وستصل هكذا أسرع.

التقت بلوك في الردهة والرسائل في يدها. ولاحظت شيئاً من البرودة على وجهه قبل أن يخفيها بابتسامة خفيفة.

كلماته لم تخفف من توترها حين قال متجهماً:

ـ أرى أنك تحاولين ترسيخ مكانتك!

أظهرت عيناها قليلاً من الألم الذي أحسته في لهجته الساخرة.. أمن الممكن أن يكون هذا الكلام تحذيراً لها بطريقة غير مباشرة بأن لا تأخذ غزله لها على محمل الجد؟

وكأنما أحس أنها تكدرت، فتنهد ووضع يده على ذراعها بطريقة ودية:

ـ تجعليني أبدو متوحشاً.. لكنني أحب أن أراك بقربي.. لقد مر عليّ صباح كالجحيم.

سألته بلهفة:

ـ ألم يأتِ المشتري؟

رد بقسوة:

ـ أوه.. بلى.. وليس من مشكلة هنا.. في غرفة الاستقبال زيونان راضيان ينتظران الطعام. ولا شك عندي أنهما سيكونان أفضل حالاً بعد تذوق طعام بيرتا. لكن، ليتني أستطيع قول الشيء عينه عن «الجاكارو» أو المشرف على تربية المواشي.

كان الجاكارو في عطلة ولم تلتق زينا به حتى الآن.. سألته بلهفة:



ـ ولماذا؟ هل حدث له شيء؟

ـ لقد وقف في مواجهة أحد الثيران من فصيلة «سانتا جيرترودس».. لقد قام بما قلت له ألف مرة أن لا يفعله.. ولحسن الحظ وصل الدكتور فرانك بايلي إلى هنا بسرعة.. لكن أخشى أن يكون هذا قد أعطى انطباعاً سيئاً.

ـ انطباع سيء؟

ـ أوه.. لدى المشترين طفلتي العزيزة.. ما من أحد يرغب في شراء حيوان خطر.

ـ لكن.. ماذا عن الجاكارو؟ أليس هو المهم أكثر؟ ما الذي سيحدث له؟

ـ سأقول لك ما سيحدث له أيتها الشقراء! ما إن يتمكن من السفر.. سيسافر!

ـ أتعني أنك ستطرده.. لمجرد ارتكابه غلطة؟

وضع يده على مؤخرة رأسها يشد شعرها قليلاً:

ـ هذه ليست الغلطة الأولى.

صاحت به:

ـ لا تفعل هذا.

ـ أشد شعرك أم أصرف الفتى؟

ـ كلاهما.. أعني ولا واحد منهما.. أوه.. لأجل السماء؟

رفع كتفيه، وقال ينصحها:

ـ لا تحاولي الكلام إلى أن تكوني واثقة مما تريدين قوله.

ترك شعرها لينظر إلى ساعته:

ـ لقد أهملت ضيفاي.. أتوقع أن ترغب أمي أن يأخذا هذه الرسائل معهما؟

أعطته الرسائل:

ـ أوه.. أجل.

وزنها في يده صعوداً وهبوطاً:
ـ يا لها من كومة.. وهل اغتصبت خدماتك اغتصاباً؟
ابتسمت زينا:
ـ أتمتع في أن أكون خدومة.
ـ لا بأس طالما لا تبالغين.. أنت هنا في عطلة.. تذكري هذا.
ولأنه بدا مهتماً بأمرها أحست بالسعادة والدفء مرة أخرى.. وقالت بنعومة:
ـ لا داعي للقلق من أجلي.. سيأخذني آبان في نزهة على ظهر جواد بعد الظهر، وبعد أن أنتهي من مساعدة بيرتا.
ـ هل قلت آبان؟
ـ أجل.
لم يحاول تحذيرها مجدداً، بل قال بخشونة:
ـ سيكون مشغولاً.
ـ لكنه قال إنه سيكون حراً بعد الظهر.
ـ آه.. لكنه لم يحصل على إجازة. وإذا كنت ترغبين في الركوب سآخذك بنفسي.. غداً.
ـ لكن لماذا؟
صحيح أنها تفضل الخروج معه، لكن ماذا ستقول لآبان؟
تحرك لوك قليلاً ليمسك وجهها بيد واحدة يجبرها على النظر إليه.. ثم قال بحرارة:
ـ هل يجيب هذا على سؤالك؟ ألم يخطر ببالك أبداً أنني قد أغار.. يا شقراء؟
وهو يتركها فجأة ليكون مع ضيفيه، استدارت مبتعدة وقلبها يتراقص طرباً.. مع ذلك، وهي تساعد بيرتا في تحضير الخضار لم تستطع التخلص من التفكير بأن ما يحدث أروع من أن يكون الحقيقة. كيف يمكن أن يكون مستعداً لإظهار مشاعره بسرعة وبسهولة؟ وماذا لو لم يكن



يذكر بالحب؟
مع توصلها إلى استنتاج أنه معجب بها، تلاشت شكوكها وأحست بسعادة أكبر.. وبدا أن تفاؤلها له ما يبرره حين جاء لوك إلى المطبخ وسألها ما إذا كانت ترغب في الانضمام إليهم للغداء. وكانت على وشك أن ترفض حين حثتها بيرتا على القبول.. ولدهشتها تمتعت جداً.. فالمشريان كانا مشاركين في مشروع كبير يشمل تطوير ما يزيد عن مليون فدان من الأراضي. وأصغت مسحورة وهما يتحدثان عن تجربتهما..
كانت الساعة تقارب الثالثة حين وجدت آبان لتقول له إنها لن تستطيع الخروج معه اليوم.. وخوفاً من جرح مشاعره أو إغضابه بذكر ما قال لوك، تمتمت بشيء حول تعبها من مساعدة بيرتا.
ـ منذ متى يجري هذا؟ أنت لست هنا لتعملي كعبدة في منزل «الريس» طوال اليوم.. وتعرفين هذا.
ضحكت زينا:
ـ أوه.. أنا لا أفعل هذا.. ولا مانع عندي أن أساعد قليلاً.. في الواقع أمك التي اقترحت عليّ هذا العمل بعد أن اكتشفت أن ذراع السيدة مارلي تؤلمها مجدداً.
نظر آبان إليها بارتياب:
ـ حسن جداً، لكنك لا تبدين متعبة جداً. تبدين لي كتومة.. فأنت لم تقولي شيئاً عن وجود سابينا رايون هنا ليلة البارحة.
سمعت ما قاله آبان بهدوء ودون أن تغضب.. ربما لآبان تبريرات لانهامه لها بالاحتفاظ بأشياء لنفسها.. وردت بارتباك:
ـ كنت أنت مسافراً.. وكانت هي ضيفة على لوك.
رد بوحشية:
ـ وتتمنى لو تكون أكثر من ضيفة!
ـ يجب أن يتزوج في وقت ما، كما أعتقد.
ـ سابينا تسعى خلفه منذ زمن.

ـ لكنها تزوجت رجلاً آخر.

سخر:

ـ هذا فقط لأنها لم تستطع مقاومة مال جورج رايون.. إضافة إلى واقع أنه متقدم في السن، وقلبه متعب.. ربما تصورت أن أرملة ثرية قد تروق للوك أكثر من فتاة لم تستطع الحصول على الرجل الذي تريد.

مع أن هذا المنطق منطق شرير، إلا أن زيتا لاحقته.

ـ هذا شيء من القسوة قوله عن أي أحد كان آيان!

ـ الحقيقة دائماً جارحة يا ابنة الحال.

لم تقنع زيتا، وقالت مقطبة جبينها:

ـ السيدة رايون جميلة جداً.. وأجد من الصعوبة أن الرجال لا يجدونها جذابة.

شحب وجه آيان بطريقة حيرت زيتا:

ـ لم أقل هذا! غلطتها تكمن في دماغها المحدود. لطالما أرادت أن تكون السيدة هنا.. وتبدو الآن أكثر تصميماً.. يبدو أنها تتصور أن مال رايون إضافة إلى مال لوك سيكون مزيجاً لا يُقاوم ولم تستطع اصطياد لوك من قبل، لكن يبدو أن للمال إغراءه.. ومثل الكثير من الناس تتساءل إلى متى يستطيع المقاومة.

وهو يبتعد عنها فجأة، نظرت زيتا إليه بحيرة.. لماذا هو في مزاج سيء حول الأمر؟

وهي تقترب من المكتب، أجفلت لخروج سابينا بسرعة، وجهها محمرّ وتبدو غاضبة.. ولم ترغب أن تصطدم بها في مثل هذا المزاج، فتراجعت إلى مؤخرة المبنى آملة أن تبتعد سابينا سريعاً.

لم تكن زيتا تنوي استراق السمع، لكن لسوء الحظ توقفت سابينا وعادت أدراجها وسرعان ما سمعت زيتا صراخها الحاد.

ـ دعني أقول لك ستيفن ألفين.. هذا ليس آخر ما ستسمعه! منذ ستين ظننت أنك تخلصت مني.. لكنني قلت لك إنك مخطىء.. قد



تظن أن لك اليد العليا، لكنك سوف تكون آسفاً جداً على ما قلته لي اليوم! قد أكون مخادعة مع بعض الرجال، لكن لوك لن يصدقك.. صدقني.. ما إن أعود من سيدني.. ستخرج أنت من هنا.. وبسرعة!

* * *

# ٥ ـ شلالات المشاعر

ضاع رد ستيفن في الضجّة التي كانت قد أصدرتها سابينا عندما أغلقت وراءها باب المكتب وهي تغادر. وأحست زيتا بالارتجاف للحقد الذي برز واضحاً في نبرة صوتها، وعرفت أنها لم تكن مخطئة حين قررت أن المرأة لا تحب ستيفن.. ولا شك أن هذا الإحساس مشترك، تساءلت ما سبب كل هذا؟ بدا تورط لوك في هذا مؤكداً.. لكن كيف، ولماذا؟

انتظرت إلى أن تلاشى صوت سيارة سابينا مبتعداً قبل أن تتحرك، دخلت المكتب لتجد ستيفن واقفاً، وذهلت لرؤيته مرحاً كعادته.. ولم يذكر سابينا أبداً.

ـ عمتي اليكسا أرسلتني لأقول لك إن الغداء جاهز، هل نسيت الوقت؟

ـ قولي لعمتك إنني سأكون هناك بعد عشر دقائق، ولا أعتقد أن الطعام سيبرد.

كتمت فضولها المتصاعد نحوه، وعادت إلى المنزل.

في وقت متأخر من بعد الظهر، ذهبت لتزور «الجاكارو» المصاب.. كانت قد اعتادت على زيارته حين يكون لديها وقت، لترفع من معنوياته. كانت إحدى زوجات الرعاة تعتني به، فهي كانت ممرضة قبل الزواج.

كيد كان قد كسر ضلعين من أضلاعه في مواجهته مع الثور، لكنه كان قد استعاد عافيته بما يكفي ليغادر المزرعة إلى بلده في اليوم التالي. وقال ضاحكاً:

- أعتقد أنني سأعتني بالغنم بعد هذا. لطالما ظننت أنني أهوى الأبقار.. لكنني لم أعد أطيقها.

لم تكن زيتا تعرف ما إذا كان لوك يعرف بزياراتها. لكنه لم يذكر أمامها شيئاً.. ومن سوء حظها أنه لمحها قادمة من منزل أسرة يالو، وهي تغادره آخر مرة.

نظر إليها وهي تقف على سلم الشرفة المرتفع خارج الباب تبدو مستعدة للهرب وتعبير مخجل مرتبك على وجهها.

صاح:

- هكذا إذن، أليس من أرى الممرضة الصغيرة بنفسها؟ أنت تتجولين في المزرعة، أليس كذلك؟

تسمرت زيتا حيث هي.. فهذا لم يكن سؤالاً بل كان تصريحاً بلهجة حادة.. ولم تعجب بما رأت في عينيه من قسوة.. وردت عليه:

- لا أصدق أبداً أنك قاس كما تتظاهر.

- وماذا يفترض بهذا أن يعني؟

رفعت ذقنها متحدية:

- لا شيء كثير.. كنت فقط أفكر بصوت مرتفع.

- أنا واثق أن عمك طلب منك أن تعاملني باحترام.

اتسعت عيناها توتراً وهي تتذكر: أوه.. أجل!

كان صعباً عليها أن تصدق بأن لوك هارلي يمكن أن يدع ملاحظات فتاة صغيرة مثلها تؤثر على تعامله.

قال لوك بحدة:

- حين ننتهي من التفكير بستيفن، أو بالصبي هنا، سأقرر أن تعبيرني اهتمامك.. أنا مضطر للذهاب إلى «فينزوري كروسنغ» وظننت أنك قد تتمتعين بالرحلة.. ولو جئت معك بثوب سباحة، يمكن أن نسبح ونحن عائدان.

اختفى توتر زيتا وهي توافق بلهفة:

ـ أوه.. رائع! لكن أين يوجد مكان للسباحة سوى بركة منزلك؟
ـ في النهر.. وليس فيه الآن الكثير من الماء. لكنني أعرف مكاناً جيداً.
لم تستطع إخفاء فرحتها:
ـ يبدو لي هذا رائعاً جداً.
نظرت إلى الجينز الذي ترتديه وسألت:
ـ هل أغير ثيابي وأنا أحضر ثوب السباحة؟
ـ لا.. تعالي كما أنت.. لكن من الأفضل لك إخبار أليكسا إلى أين أنت ذاهبة.
بعد عشر دقائق من هذا انطلقا.. ومع وجود لوك إلى جانبها، كانت زينا تتطلع بشغف إلى رحلة مشوقة.
ـ هل كل شيء على ما يرام؟
ـ هذا ما يبدو لي، قالت عمتي إنني سأعود سالمة لأنك سائق ماهر.
ـ هل قالت هذا حقاً؟ الذي لا تعرفه أنني سأجعلك تقودين السيارة في طريق العودة.. أريد أن أرى مدى كفاءتك قبل أن أسمح لك بالخروج مع أمي وأليكسا.
إذن، هو لا يأخذها معه لمجرد سعادته برفقتها.. وعلى الفور غضبت وكادت تصيح بحدة أنها كفؤة تماماً، ثم غيرت رأيها وأقفلت فمها بشدة قبل انفلات أية كلمة غضب.. فارتفع حاجبا لوك بسخرية:
ـ ماذا.. لا رد؟
ابتسمت:
ـ هناك الكثير.. لكنني صمتُ لأكون أكثر جدية في إجابتي..
ـ وأدركت أنني على حق؟
هزت كتفيها:
ـ حسناً.. هذه بلادك..
غيّر سرعة السيارة بعنف أدهشها.. وسأل:



ـ هل فكرت يوماً أن تجعلي منها بلادك؟
تعالت سحابة غبار خلفهما، وتنفست زينا بحدة وقالت متصلبة:
ـ لم يمض علي هنا سوى بضع أسابيع.
ـ هذا صحيح.. يا إلهي! كيف يطير الوقت! تبدو لي كسنين!
كان صوته مليئاً بالسخرية، مما حيرها.. وحيرها كذلك تحوله السريع من المودة إلى ما لا تستطيع وصفه سوى بالغضب.. صمتت تعزي نفسها بنظرة سريعة إلى وجهه أما هو فقد كان يركز اهتمامه في الطريق.. إنها تحب وجهه عند انفراج أساريره.. لكن، حين يقسو وكأنما بأفكار مزعجة كانت تدير وجهها إلى خارج السيارة.
خيّم السكون مدّة طويلة.. حتى أنها كادت تقفز من مكانها حين كسر الصمت فجأة بسؤاله:
ـ أتعرفين ماذا قال عمك لسابينا وجعلها تغادر بسرعة؟ كنا نتوقع حضورها إلى الغداء.
هزت زينا كتفيها، لكنه أكمل:
ـ قال أحدهم إنه شاهدك في المكتب ساعة خرجت مسرعة.
ـ أجل.. وماذا في هذا؟ إذا كنت تعرف كل هذا، فكيف لم يخبرك أحد أنني جئت لأدعُو العم ستيفن من أجل الغداء؟ أعرف أنه والسيدة رايون كانا يتشاجران وليس لديّ فكرة عن السبب.. هل الأمر مهم؟
أغضبها ببرودة:
ـ ليس تماماً.. والأفضل أن لا نذكر الموضوع.. لا أريد إفساد يومك.
احمرت وجنتاها مما زاد من حنقها، وكانت أكثر ارتياحاً حين وصلا بعد دقائق إلى فيتزوري كروسنغ، وارتفعت معنوياتها وهي تنظر حولها بفضول متلهف..
توقف لوك في نهاية الشارع خارج مجموعة من المباني، وقال:
ـ إذا أردت شيئاً فهناك المخزن ومركز البريد.. سأعطيك نصف

ساعة.

أبعدت زيتا بضع خصلات من الشعر عن وجهها وهي تسير إلى جانبه فوق الرصيف.

ـ كان يجب أن أسأل أمك ما إذا كانت بحاجة إلى شيء.

وضع يده على ذراعها:

ـ قلت لها إنك قادمة معي. لكنها لا تريد شيئاً.. ستذهب إلى بيرث غداً لتمضي أسبوعاً أو اثنين، ويمكنها الحصول على كل ما تحتاجه هناك.

فغرت شفتيها ذهولاً:

ـ ذا.. هية.. إلى بيرث؟

ـ أقفلي فمك حبيبتي.. إلا إذا أردت أن أفعل هذا بنفسي.

تمتمت بتمرد:

ـ حسناً؟ لكنني مندهشة، وماذا تتوقع غير الدهشة في وقت كانت فيه مريضة جداً؟

ـ لم تكن مريضة كثيراً.

ولف ذراعه على كتفيها.

ـ إنه كتفها فقط.. كانت مخادعة بما يكفي لتؤمن خدماتك السكرتارية الناجحة.. لكن، قبل أن تؤذي نفسها كانت قد اتفقت مع صديقة للإقامة معها في بيرث، ولمتابعة علاج فيزيائي ممتاز متوفر هناك..

ـ فهمت..

كانت ذراعه السمراء القائمة تحفر وشماً على كتفها وهو يقترب منها.

ـ لا.. لم تفهمي شيئاً.. فأنت تشعرين بالجرح.

لو أنها تشعر بالجرح، فقد أخذ يختفي بسرعة تحت شيء أكثر قوة..

وهمست:

ـ ليس من حقي أن أشعر هكذا.

ـ الطبيب لم يعطها الإذن بالسفر سوى هذا الصباح، ولم ترك حتى



الآن.. لكنني أعرف انها تنوي إخبارك بكل شيء.

أجبرت نفسها على التراجع قبل أن تستولي عليها مشاعرها المبهمة.

ـ ليست مضطرة.. على أي حال.. لست فرداً من العائلة.

ـ ليس بعد..

وتركها.

ما الذي يعنيه بقوله هذا؟ وانقلب قلبها رأساً على عقب، وتسارعت نبضات قلبها بشيء من الإثارة المؤلمة وهي تراقبه يبتعد عنها في الشارع. أيمكن أنه بدأ يقع في حبها ويفكر جدياً بطلبها لتكون زوجة له؟ وهل يمكنها أن ترفضه؟ أو بالأحرى هل تريد أن ترفضه؟

عندما التقت لوك مرة أخرى، كانت تشعر بالحرارة والعطش، مع ذلك كانت راضية حالمة.. وسألها بخبث:

ـ لا يبدو أنك اشتريت الكثير.. مع ذلك تبدين سعيدة.

طريقة كلامه الرسمية أجبرت زيتا على تجميع نفسها.. فمهما حدث لا يجب أن تسمح له بأن يخمّن الاتجاه السخيف الذي سلكته أفكارها في النصف ساعة الأخيرة. تنهدت:

ـ للحقيقة، الشيء الوحيد الذي أردت شراءه حقاً، لم أجده. شراب بارد.

ـ أستطيع مساعدتك بهذا.. سنزور الفندق قبل أن نتجه إلى النهر.. فأنا بحاجة إلى شيء بارد كذلك.

في الفندق طلب لهما الليموناضة.. وقال لها:

ـ استرخي فأنت التي ستقودين السيارة في طريق العودة.. ألا تذكرين هذا؟

لم تستطع سوى أن تكشر في وجهه:

ـ أنت تذكر كل شيء أليس كذلك؟

رد ساخراً:

ـ أحاول جهدي أن لا أنسى..

كان الفندق لطيفاً ومريحاً، وأكد لها لوك أن الطعام فيه لذيذ..

فسألت:

ـ هل يصل كثير من السواح إلى مكان بعيد كهذا؟

رد متكاسلاً:

ـ القليل.. فمنطقة كيمبرلي مشهورة جداً، وتعرفين هذا. في الشمال لدينا «أورد دام» أو سد «أورد» مشروع نهر «أورد» للري، ثم عدا صناعة اللحوم، لدينا مشاريع زراعة القطن والأرز، والمحاصيل الأخرى.. وبالطبع هناك المناجم. وهناك الكثير من الحديد على الجزر عبر «بامبي ساوند» سآخذك إلى تلك الجزر يوماً فهي جميلة جداً.

ـ ألم تفسدها المناجم؟

ـ لا.. أبداً.

هذا الوعد بأشياء ستأتي سبب لزيتا رغماً عنها تساؤلاً جديداً عن نوايا لوك.. ولأن الدفء في عينيه يشجع على الظن بأنه يقع في حبها، أحست بالراحة حين وقف وأعلن أنهما إذا أرادا السباحة فمن الأفضل أن يتحركا.

وهما يخرجان إلى الخارج قال:

ـ يجب أن تكوني هنا في شهر أيلول.. نقيم سباقات ونزهات ويأتي الناس من كل أنحاء «كمبرلي».

ها هي مرة أخرى تلك السخرية التي تؤدي إلى توتر أعصابها وتدمير ثقتها بنفسها.. كانت لا تزال متوترة عند وصولهما إلى حيث يقف اللاندروفر.. وسألها لوك:

ـ هل سبق وقدت واحداً مثله من قبل؟

ارتفع ذقنها تحدياً للهجته المرتابة.. ردت ببرود:

ـ قدت الكثير من السيارات الكبيرة.

وهذا صحيح، ألم يكن والدها يشتري باستمرار شاحنة قديمة أو سيارة من نوع ما لينقل صفقاته؟ قد لا تكون على مستوى لاندروفر..



وليس من الممكن لهم أن يتحملوا ثمن لاندروفر مثل الذي للوك.. وبا له من سيارة! ابتلعت زيتا ريقها محاولة تقدير ثمنه وتقدير كلفة التصليح لو أصابته بضرر.

قال لوك:

ـ أعرف أنه جميل.. لكن ليس لدينا الوقت للوقوف وإبداء الإعجاب طوال اليوم.. اصعدي إليه وابدأي التكسير.

هل يجب أن يلقي لها بالأوامر بهذه الحدة؟ وكأنها عاملة لديه.. نسيت كل شيء عن جهلها، وصاحت:

ـ ألا صبر لديك؟

جلس في مقعده وقال متشدقاً:

ـ هيا.. لا تهتمي بوجودي.. وركزي على من يراك في الخارج.. إنهم بالتأكيد سينتهزون الفرصة لدراسة فتاة لها مثل قوامك.

وغمرتها موجة من شيء ما تكاد تختقها. وقالت من بين أسنان مشدودة:

ـ أتسمح أن تصمت.

ووجدت المكابح اليدوية في الوقت عينه الذي وجدت فيه دواسة الوقود، وأدارت المحرك دون أن تضع قدمها على دواسة الوقود، فانطلقت السيارة في قفزات متقطعة.

صاح لوك وهو يندفع إلى الأمام.

ـ يا إلهي؟ ماذا تفعلين؟

تصاعدت صيحات الاستهجان خلفهما، لكن الوجوه التي نظرت إليهما لم تعد فضولية فقط بل بدأت تبتسم وتصيح بالنصائح.

أمرها لوك متجهماً:

ـ أديريها مرة أخرى.

استدارت إليه متوسلة، لكنه قال:

ـ لا.. لن أقود! ابقي حيث أنت.. الآن محور السرعة.. قليل من

الوقود أكثر.. المكابح اليدوية.. ابعدي.. قدمك.. عن.. المكابح!
مع إطاعة زيتا العميقاء لكل التعليمات، انطلق اللاندروفر بنعومة.
صاح بها:
ـ غيري السرعة!
ـ لا تصح في وجهي أيها المتسلط الكبير! كنت سأغير السرعة.. المشكلة أنك دائماً مستعجل.
ـ لست مستعجلاً كثيراً.. لكنني أحب أن أعيش فترة أطول إذا كنت لا تمانعين!
خففت زيتا سرعتها إلى الثلاثين ميلاً، وتأوه:
ـ أنت سائقة فاشلة.
ردت ببرود:
ـ شكراً لك.. وماذا في هذا؟ أنا لاعبة تنس فاشلة.. سباحة فاشلة، وفارسة فاشلة.. ولا أتوقع أن أكون جيدة في أي شيء.
تنفس عميقاً وبصوت مرتفع:
ـ أوه.. لا! في البداية حاولت قتلي، وتحاولين الآن أن تعاقبيني.. ليس هناك خطأ في التنس أو السباحة أو الركوب.. أنت فقط بحاجة إلى الخبرة.. وهذا كل شيء.
رمقته بنظرة ساخرة:
ـ أوه.. عظيم! ومن أين أحصل على الخبرة؟
التقى نظرهما دون أن يرف له جفن.
ـ مني أنا.. ستكونين أكثر من جيدة حين أنتهي منك.. وهذا كل ما تحتاجين إليه.. وهكذا ستكونين أكثر شهرة من الفتاة التي تفوز دائماً.
أحست أنها تلقت محاضرة تأديب، وتمكنت من أن تتمتم:
ـ لم أكن يوماً طموحة إلى هذا الحد.
فابتسم بتسامح:



ـ هيا بنا لنجد ذلك المكان من النهر.. لنبدأ على الأقل دروس السباحة.

نهر فينزوري أيام الأمطار، من كانون الأول إلى آذار، عادة ما يكون سيلاً جارفاً.. لكن خلال موسم الجفاف، يصبح سلسلة من البرك الجميلة المنظر. بعضها تختزن الماء بصورة مستمرة، وتجذب تشكيلة متنوعة من الأسماك، والحياة البرية.. قرب «فينزوري كروسنغ» دلّ لوك زيتا على أفضل مكان معروف من هذه البرك..

شعرت زيتا بكثير من الإعجاب بالمكان، وأرادت أن تسبح هناك إلى أن ذكر لها لوك أن البحيرة مليئة بأسماك القرش، وأبو منشار، والتماسيح.. مع أنه أكد لها أن التمساح من فصيلة «جونسون» يأكل السمك فقط على عكس التمساح الذي يعيش قرب الماء المالح عند فم النهر، وليس من المعروف أنه يهاجم البشر، إلا أنها رفضت النزول وأعلنت متوترة:

ـ لا أنوي أن أكون طعام عشاء لوحش مفترس كهذا.

بعد ساعة وصلا بحيرة قال لوك إنها ليست كبيرة بما يكفي لتستوعب أسماكاً مفترسة.. وقال بعد أن أوقفت اللاندروفر عند قطعة أشار إليها:

ـ بإمكانك تغيير ملابسك هنا، إلا إذا كنت تفضلين تلك الدغلة من الأشواك هناك!

وازنت أخطار نافذة دون ستارة مع الأشواك، وربما الأفاعي:

ـ لا.. أفضل أن أبقى هنا.

ضحك وابتعد يحمل معه بنطلوناً قصيراً بلون أزرق.

حين خرجت من السيارة.. بالكاد نظر إليها. وهي تسير نحوه فوق الصخور الساخنة، تقدم إلى حافة صخرة وقفز في الماء.. ارتجفت زيتا رغم إحساسها بالحرارة وتمنت أن تحذو حذوه..

كانت البركة لا تزيد على عشرين ياردا طولاً وعرضاً.. مع ذلك لم

ترَ أثراً له . . ثم ظهر شعره الأسود يتقطر ماءً .

ناداها :

ـ انزلي إلى الماء ، ماذا تنتظرين؟

ردت :

ـ ربما لا زلت خائفة .

تنهد بنفاد صبر :

ـ وهل أبدو لك نمساحاً؟ أؤكد لك أن لو كان هناك أي شيء آكل للبشر هنا ، لكان التهمني الآن . .

كيف تقول له إنها متوترة الأعصاب منه أكثر من التمساح؟ وصاح مهدداً :

ـ إذا لم تنزلي ، سأصعد لأنزلك بالقوة .

خوفاً من تنفيذ تهديده ، مدت ذراعيها وقفزت عن الحافة بسرع . . بسرعة أزالت برودة الماء كل توترات بعد الظهر ، وخرجت من الماء ضاحكة .

مسحت الماء عن عينيها وصاحت : إنها رائعة!

اتجهت إلى الجهة الأخرى من البركة ، نحو شاطىء صخري صغير رأته هناك . كانت المياه عميقة وصافية ، حتى أنها استطاعت أن ترى قعر البركة طوال الطريق . . وسبحت عدة ياردات قبل أن تلمس الأرض قدماها . .

تقدم لوك خلفها . . ولمعت عيناها وهما تلتقيان عينيه ببطء . . ابتسم لها لتحس أن جسمها كله يحمر .

استدارت بسرعة عمياء تسبح إلى الشاطىء ، وسمعته يلحق بها . . وكان خلف الشاطىء صخور مرتفعة ، ولا مكان تذهب إليه . .

امتدت يدها لتمسك خصلات شعرها العسلي اللون وأخذت تجمعه عند مؤخرة رأسها ، وتكلم بحنان :

ـ أحب رؤيته يطوف فوق الماء . . تبدين حورية ماء رائعة . . فلا



ترفعيه هكذا .

ضحكت زينا محاولة التخفيف من التوتر داخلها . ابتعدت عنه ، وتمكنت من القول :

ـ من الرائع أن أكون حورية في هذه البحيرات . كل شيء هنا مذهل . . وأريد أن أستكشف ذلك الشلال هناك . ألديك اعتراض على ذلك؟

ابتسم لها :

ـ أظنه آمن إذا كان هذا ما تسألين عنه؟

بسرعة اتجهت إلى الطرف الشمالي من البحيرة حيث تنحدر المياه من النهر المرتفع . . ولحق بها لوك ، وكانت المسافة أبعد مما تصورت ، وقبل أن تصل الشلال كانت منهكة جداً ، لكن الرذاذ المتساقط على وجهها المرتفع إلى الأعلى كان لذيذاً ويستحق عناء السباحة إلى هذه المسافة .

أخذت تفتش في الماء متسائلة إلى أين ذهب لوك . . وانتظرته متمنية لو أن هناك مكان تجلس فيه فالتيار كان يتعبها . . وكان لوك قد تركها ليدور حول البركة ، وأحبت مراقبة ضرباته القوية الطويلة ، وطريقة تسلل جسده بنعومة في الماء .

اختفى . . ما هي إلا دقائق ، حتى صعد من تحت الماء ، إلى جانبها . . وكان من الصعب عليها أن تخفي ارتباكها الظاهر على وجهها .

صاحت محاولة إخفاء خوفها بالغضب :

ـ لأجل السماء! أيجب أن تفعل هذا؟ لقد أفزعتني!

لمعت عيناه بسخرية :

ـ أتمتع بإخافتك . . ردة فعلك جميلة جداً .

ـ متوحش!

وأملت أن لا يلاحظ الدموع المفاجئة في عينيها ، لكنه لاحظها متسلباً أكثر منه نادماً :

ـ تعالي إلى هنا ، وسأعانقك لتهدأي .

امتدت ذراعه بسرعة، وصاحت: لا!

لسوء حظها أنها غطست تحت الماء وكأنها الحجر.. في طريقها إلى القعر، ابتلعت الماء. فهي كعادتها نسيت إغلاق فمها.. بذعر أخذت تفتش عن شيء تتمسك به لينقذها.. وأول ما وجدته كانت إحدى ساقي لوك.

على الفور التفت ذراعاه حولها وقد عرف أنها تحتاج المساعدة ورفعها ثم قلبها بسرعة رأساً على عقب.. كانت أنفاسها متوقفة، وتعلقت بعنقه بقوة.

سألها:

ـ هل أنت بخير؟

كم مرة سألها هذا من قبل؟ وهمست: أجل.

لكنها لم تكن شجاعة بما يكفي لتتركه.. وأخذت ببطء تستعيد أنفاسها، وتحس برجفة تسري في جسدها لقربها منه.. حين هددت المياه المتدفقة بينهما أن تفرقهما، اشتدت ذراعاه عليها..

تحرك ببطء يسحبها إلى الصخور القريبة.. وأخذ عرق ينبض في منتصف عنقها، وعرفت أن عليها أن تغضب لكن الكثير من المشاعر الأخرى كانت تجتاحها.. أمسك لوك ذقنها يجبرها على النظر إليه.

بحذر رفعها إلى الحافة، ورفع نفسه من الماء إلى جوارها.. كانا في غار واسع ما بين الشلال ووجه الصخور.. وكان جافاً تماماً ما عدا بضع نقاط من الماء..

تمتم وكأنما لنفسه: هذا جنون.

ردت هامسة: أعرف.

جذبها إليه فتسللت ذراعاها طوعاً حول عنقه.. وأحست بنفسها تستسلم لجاذبيته التي أصابتها بالدوار.. لكنه وبسرعة مذهلة استدار مبتعداً عنها. أوصلته حركته المفاجئة إلى الحافة الخارجية للكهف، وهمس بصوت أجش:



ـ ساعديني!

أجفلت للحركة المفاجئة فرفعت نفسها على ذراع واحدة، لكنها بدلاً من أن تمسك به، دفعته نحو الماء مجدداً.

بغفلة سمعت صوت سقوطه الثقيل في الماء، ووجدت نفسها وحيدة في الكهف الفارغ..

بعد بضع لحظات وقد تمكنت من أن تلملم شتات نفسها قليلاً.. ظهرت يد لوك عبر ستارة الماء المتدفق. ولذهولها عاد واختفى، ومع أنها لم تعد تراه فقد سمعت صوته.. ناداها بصوت أجش:

ـ من الأفضل أن تنزلي يا شقراء، وبأسرع وقت ممكن. لقد آن وقت رحيلنا.. اسبحي نحوي حين تكونين جاهزة.

أخذت زيتا نفساً سريعاً تتساءل بلهفة لماذا بدا صوته قاسياً.. هل آذى نفسه حين وقع عن الحافة؟.. صاحت بصوت مرتجف تسأله:

ـ هل أنت بخير؟

رد ساخراً:

ـ أجل.. لا داعي للقلق عليّ.. فليس هناك أفضل من غطسة باردة لتعيد رجلاً إلى وعيه!

* * *

# ٦ ـ لعبة البراءة

قاد لوك السيارة في العودة إلى كولاري. . ولم يسألها كيف تشعر أو ما إذا كانت ترغب في القيادة. انتظر إلى أن ارتدت ملابسها ثم نظر إلى وجهها الشاحب المتوتر ولم يعدِ النظر إليها ثانية. في المنزل، حين أنزلها قال غير مبالٍ: «أراك غداً» ولم ينتظر إلى أن تسير مبتعدة.

كان ستيفن في مزاج جيد وأراد أن يعرف ما الذي أخرهما. . فأجابت زيتا دونما تفكير:

ـ ذهبنا لنسبح.

ـ تسبحان؟ أين؟

أدركت زيتا أنها تستجوب وندمت على ما قالت:

ـ في النهر.

نظر إليها ستيفن بحدة:

ـ همم. . لم أعرف يوماً أن لوك أخذ فتاة إلى هناك من قبل. .

ـ لا تستطيع أن تعرف ماذا يفعل طوال الوقت!

رد متبجحاً:

ـ لكنني أعرف ماذا يجري حين يكون هنا.

وارتجفت زيتا. . ليكمل:

ـ نستطيع أن نقول إن لدي. . مصادر معلومات.

أحست زيتا بالامتعاض لكنها كتمت مشاعرها، على أي حال ستيفن زوج عمتها وبمثابة عمها. . وكل ما تمنته أن لا يكون من يزوده

بالمعلومات قرب النهر اليوم. . وسألت بسرعة:
- أين عمتي اليكسا؟
لم يغضب ستيڤن لكراهية زيتا الواضحة للحديث عما جرى بعد الظهر. . وأشعل سيكاراً ببطء وجذب منه أنفاساً كسولة راضية.
- لقد ذهبت لرؤية إحدى زوجات العمال حول شيء ما، وأعتقد أنها قالت إن عشاءك في الفرن.
لم تستطع زيتا مواجهة وعاء الطبخ الدسم الذي وجدته. . وصنعت لنفسها بعض الكاكاو بدلاً منه، وحملته إلى السرير آملة أن تسامحها عمتها. . وبدا الاستياء على وجه ستيڤن حين ألقت عليه تحية المساء على عجل، لكن دون خيبة أمل. .
كان من السهل دخول الفراش، لكن ليس من السهل أبداً أن تنام والأفكار تضج في رأسها. أحست بصداع في رأسها. . لا تزال لا تستطيع التفكير بما حصل دون أن ترتجف. . وأحست ببرد شديد لتذكرها الازدراء في عيني لوك حين انضمت إليه قرب اللاندروڤر.
كان واضحاً رأيه فيها. . لكن لو أنه فكر بسوء بها فهل تلومه؟
في الصباح التالي جاء ستيڤن مبكراً للفطور. وقال لزيتا:
- عندما تنتهين من إفطارك فإن لوك يرغب برؤيتك في مكتبه.
شربت قهوتها دفعة واحدة، وسألت:
- هل تعرف لماذا يريد رؤيتي؟
- لا. . لكن على الأرجح يريدك للذهاب معه إلى مكان ما.
- يمكن أن يكون الأمر حول أمه.
نادت اليكسا وهي تأخذ قبعتها تؤكد أنها لن تتأخر.
كان لوك يجلس على حافة منضدته الكبيرة يقرأ ورقة مطبوعة وينتظرها. حين وصلت وضع الورقة من يده وسألها دون مقدمات:
- هل أنت بخير؟
نظرت إليه بسرعة تكره الاحمرار الذي لون وجهها. هل يجب أن

يذكرها؟ ردت باختصار:

ـ أجل.. أنا بخير تماماً.. شكراً لك.

تنهد وطافت عيناه على وجهها المتمرد الصغير:

ـ أردت أن أكلمك زيتا.. قبل أن تقابلي أمي. أفترض أنك ستزورينها.

هزت زيتا رأسها بلهفة تنسى مشاكلها:

ـ كنت سأحاول اللحاق بها قبل أن تسافر.. هل ستأخذها إلى بيرث؟

ـ لا.. بل سأوصلها إلى «ديربي» فقط.. وهذا ما أفعله دائماً حين تسافر.. وستطلب منك المجيء معنا والعودة معي غداً.. ولأنها أمضت ليلة سيئة أردت أن أتأكد من أن لا ترفضي.

ـ تعني أنك لن تتركني أرفض؟

ـ إذا اخترت أن تصفي الأمر هكذا.. أجل.

اتسعت عيناها.. فهو ليس رب عملها.. مع ذلك يجد لذة في إصدار الأوامر لها! ولولا أمه التي تحبها كثيراً لكانت قالت له أين يذهب!

أخفت سخطها.. وقالت ببطء:

ـ سأفعل أي شيء لأمك، لوك.. وتعرف هذا. لكن هل أنت واثق أنها تريدني؟ السيدة رايون أفضل مني.. مثلاً؟

قاطعها بخشونة:

ـ زيتا.. إنها تريدك أنت.. ثم إن سابينا مسافرة إلى سيدني لبضعة أسابيع.. والآن.. ماذا تقولين؟ ليس لدي اليوم كله، وأريد تسوية هذه المسألة.. معك أو بدونك سنغادر بعد بضع ساعات.

استسلمت زيتا فجأة بكل إرادتها:

ـ أحب أن أذهب إذا كنت تظن أنني سأنفع.. أنت تعرف أنني لست متدربة كممرضة.



ـ إنها لا تحتاج إلى ممرضة.. قد تحتاج إلى مساعدة الليلة في الفندق، لكن لا تمريض.. في الصباح سنضعها في طائرة إلى بيرث حيث ستلتقيها صديقتها.. وسيكون هناك من يعتني بها طوال الطريق.

واضح أنه كان مستعجلاً للرحيل، لكن زيتا أصرت:

ـ كان يجب أن تتركها تطلب مني بنفسها.. فلماذا لم تفعل؟

ـ لأنني فتاتي العزيزة لم أكن متأكداً من مشاعرك هذا الصباح، ولم أشأ أن تتكدر. فهناك ما يشغل تفكيري.

إذن حين سألها بلهفة عن حالها كان همه ينصب على نفسه؟ حين نزل عن حافة الطاولة ومرّ بها نحو الباب تبخر غضبها فجأة.. وابتسمت له:

ـ طبعاً لن أرفض.. سأذهب الآن لأساعد أمك في كل ما أستطيع فعله.. ستكون على أهبة الاستعداد حين تجهز أنت..

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة حين وصلوا إلى ديزي.. وكان سفرهم في طائرة لوك الصغيرة.

الفندق كان مريحاً، وتناولوا العشاء باكراً.. كانت أسرة هارلي لا شك معروفة ومحترمة وأعطيت أفضل ما لدى الفندق.. فتمتعت زيتا بالطعام لكن بعد ذلك مباشرة اختفى لوك ليقابل أصدقاء وزملاء عمل له.

تنهدت أمه بينما زيتا تساعدها للوصول إلى غرفتها:

ـ إنه دائماً يمزج العمل بالمرح.. ولن أنتظره، فلا أحد يعرف متى سيعود.. وعليك عزيزتي أن تنامي كذلك..

هذا كثير على فستانها الجميل والعناية الزائدة التي أولتها لزينتها! نظرت زيتا إلى صورتها في المرآة داخل غرفتها وحدّثت نفسها بصوت عالٍ متجهمة الوجه:

ـ أنت لم تساعدي نفسك كثيراً.

كان خلال اللقاء يبدو وكأنه يسخر منها، وتمنت لو تستطيع أن تنظر إليه بمثل عدم اكتراثه.. لكن هل يمكن أن تنسى مشاعره المشبوبة تحت

الشلال؟ تمنت أن تسمع قوله إنه يحبها.. لكنه بدلاً من ذلك تركها حتى دون كلمة لطيفة.. وكلما فكرت بالأمر فضلت الموت على خيبة الأمل.

غادرت طائرة السيدة هارلي بعد ظهر اليوم التالي، فقررت أنه من الأفضل لها أن تعطي نفسها فرصة للراحة من الرحلة الأولى.. وقالت لزيتا ضاحكة:

ـ أنا مسافرة رهيبة.. ولست أدري ماذا سأفعل حين يتزوج لوك إذا لم تتفق زوجته معي.

ضحكت زيتا بدورها:

ـ أوه.. أنا واثقة أن أية فتاة ستحب أن تكوني حماها.. أعرف أنني سأحب هذا!

ارتفع رأس لوك بحدة عن الصحيفة التي يقرأها، وارتبكت زيتا.. حاولت أن تقول إنها تكلمت دون تفكير، لكن الكلمات لم تتجاوز فمها الصغير حرجاً. وكانت ممتنة لتدخل السيدة هارلي بابتهاج:

ـ أنت رائعة في رفع معنوياتي، زيتا! والآن يجب أن أخرج لأشتري شيئاً لمارتا.

مارتا هي الصديقة التي ستقيم معها في بيرث. وخرج لوك مرة أخرى في عمل له، هكذا جالت المرأتان بحرية لوحدهما. وتوقفت زيتا مذهولة أمام واجهة تعرض فستان سهرة من الشيفون الأزرق دون أكمام مع زينة فضية، وتنفست: كم هو جميل!

ـ أعتقد أنه مناسب تماماً لك.

ـ حقاً؟ لكنني لا أحتاج إلى فستان كهذا..

أشارت السيدة هارلي بنفاد صبر للبائعة:

ـ كل فتاة بحاجة إلى فستان كهذا..! وإذا ناسبك زيتا سأشتريه لك.. لقد كنت حتى هذه الساعة أتساءل عما قد يعجبك؟

ـ لكنني لا أريد شيئاً. أوه.. أرجوك سيدة هارلي!

قالت السيدة هارلي بعدوانية:



ـ أصغي إليّ الآن.. زيتا. لقد صنعت معي معروفاً بمجيئك معي إلى «ديربي» ويجب أن تسمحي لي بشراء شيء لك.

كان الفستان مذهلاً على زيتا لكنه بحاجة إلى قليل من الضيق عند الخصر، فخصر زيتا نحيف جداً. ووعد المحل أن يصلحه في منتصف بعد الظهر.

لكن لسوء الحظ طال الانتظار، وغضب لوك. بعد رحيل أمه، وبخ زيتا غاضباً لنسيانها أنه مستعجل.

ـ لم يكن عليك أن تقنعي أمي بشراء فستان جديد لك. كنت سأعطيك شيكاً.

أحست بالإهانة.. والتمعت عيناها الزرقاوان تعكسان مشاعرها:

ـ أنا لم أطلب من أمك أن تشتري لي شيئاً.. لكنها أصرت وبدلاً من أن أكون مصرة على الرفض، قبلت.

ابتسم لوك مهدئاً:

ـ أعتقد أنها تعتبر بوصفك زوجة المستقبل أنك ستحتاجين إلى ثوب كهذا..

لم تلاحظ زيتا اللهجة الحريرية الناعمة.. وللحظات ظنته يطلب يدها، فأشرقت عيناها.. ودون أن تعي ما يكشفه وجهها، تقدمت إليه خطوة.. لكن لتقف مرتجفة وهو يكمل ساخراً:

ـ لا يمكنك لومها بعد أن أعلنتِ بأنها ستكون «حماة» رائعة. وأعتقد أنه كان من السهل الحصول منها على فستان بعد هذا!

أحست بإذلال لم تستطع معه الكلام.. المزاج الذي كان فيه كان يجب أن يحذرها أن لا شيء أبعد عن تفكيره من طلب يدها.

خلال فترة انتظار انتهاء الفستان، وبعد أن أصر بعناد أن ينتظره.. تأخرا في الانطلاق، وبهذا تأخرا في الوصول.. ومما زاد حدة التوتر، اضطرارهما إلى انتظار أحد ليأخذهما من المدرج.

أخذ لوك يرعد غاضباً:

ـ سيتدحرج رأس أحد ما لأجل هذا!

همست بتعاسة: إنها غلطتي.

رد بقسوة:

ـ سأتعامل معك فيما بعد.

اعتبرت أن صمته خلال رحلة العودة كان عقاباً كافياً لها.. ولم تصدق أنه لا يزال غاضباً!

توقفت الشاحنة التي وصلت أخيراً لتأخذهما بحدة.. من بين الغبار المتصاعد، ظهرت يد عامل سمراء.

ـ آسف يا «ريس!» لم أعرف أنني مكلف بالمجيء لأخذك إلا قبل دقائق.

صاح لوك:

ـ ولم لا بحق الجحيم؟ أين ستيڤن؟

نظر الرجل بسرعة إلى زيتا دونما ارتياح: ستيڤن؟

اشتد صوت لوك بنفاد صبر:

ـ أجل.. هذا ما قلته.. أين هو؟

ـ لقد رحل.

ـ رحل..؟ إلى أين؟

ـ في عطلة يا ريس.. هو وزوجته.

نظرت زيتا إلى الشاب غير مصدقة:

ـ في عطلة؟ لا بد أنك مخطىء.. لا بد أنهما ذهبا إلى مكان ما لتمضية النهار.. فلو أنهما ذهبا في عطلة لكانا ذكرا هذا لي.

لامس الشاب قبعته:

ـ أظنهما قررا السفر على عجل آنسة. وفهمت أنك يجب أن تبقي مع آيان إلى أن يعودا.

لم تر زيتا لوك يبدو غاضباً هكذا من قبل. ولم تنظر إليه إلى أن وصلوا المنزل.. وقالت وهما يقتربان من منزل ستيڤن:



ـ أتسمح أن تنزلني هنا؟

لكن لوك لم يرد وتجاوز المنزل مسرعاً ليقف قرب المكتب.. حيث صرف عامل المزرعة وأمرها بأن تدخل.

ـ أريد كلمة معك.

أحست برغبة في الهرب، لكن إلى أين؟ لا مكان هنا لا يمكن له أن يجدها فيه.. ولأول مرة منذ أسابيع ندمت على العزلة التي تعيشها في كولاري. أمرها بأن تجلس وأقفل الباب ورائهما.

كان هناك مذكرة على المنضدة، فتحها وقرأها.. ثم أعطاها لها بخشونة: اقرأي هذه.

تراقصت الكلمات في الرسالة أمام عينيها وهي تحس بقرف لوك.. لا بد أن ستيڤن كان مستعجلاً لأن مذكرته كانت مختصرة جداً.. قال فقط «إنه سيأخذ اليكسا في رحلة شهر عسل ثانٍ، وإنها لم تكن في صحة جيدة مؤخراً وتحتاج إلى الراحة، وسيعودان بعد أسبوعين.. في هذه الأثناء ستقيم زيتا مع آيان لتعتني به».

ـ هل تعرفين شيئاً عن هذا؟ أي شيء؟

حدّقت بعينين مذهولتين في وجهه.. وتذكرت كيف كانت العمة اليكسا تتذمر من ألم في الرأس باستمرار والإحساس بالغثيان: حسناً.. أنا..

قاطعها بغضب:

ـ كان لديك فكرة.. ولم تقولي شيئاً.

ـ لوك..

صمتت.. ما شأنه في هذا على أي حال؟ بكل تأكيد من حق ستيڤن أن يأخذ إجازة قبل موسم الأمطار؟ ابتلعت ريقها بخشونة وأكملت:

ـ أذكر أن عمتي كانت تقول إنها بحاجة إلى عطلة راحة.. وأظن أنني قلت بأنني سأكون على ما يرام لوحدي، إذا أرادا أخذ إجازة.. وهذا كل شيء..

- هكذا إذن.. أتعتقدين حقاً أنك قادرة على العيش مع آيان لأسبوعين؟

الطريقة التي تكلم بها لم تترك مجالاً للخطأ فيما يعنيه!.. فصاحت به:

- لك دماغ رهيب..! آيان ابن عمتي!

- إنه.. ليس.. ابن.. عمتك!

قطع لوك كلماته كما يفعل عادة حين يريد التركيز على نقطة ما.. لكن معها كان يبدو أنه يتعمد هذه الوسيلة.. وكأنه يعتبرها أحياناً مخلوقاً له ذكاء متدنٍ. وأحست بالتعب والاكتفاء.. إنها على استعداد للاعتراف أن هناك أشياء كثيرة عن عائلة عمتها لا تعرفها ولا تفهمها.. لكن هذه ليست غلطتها بالتأكيد!

تمتمت:

- ما الذي تعنيه؟

- ربما قبل أن تشجعي عمتك وزوجها على السفر كان يجب أن تطلبي منهما الشرح.

وهل شجعتهما؟ بدت الحيرة في عينيها.. ردت بضعف:

- لم أعرف أن هناك شيئاً يحتاج إلى الشرح. كيف يمكن أن لا يكون آيان ابن عمتي؟

- لأنه ابن شقيق ستيفن. والداه ماتا وهو طفل، وتبناه ستيفن واليكسا.. كانا محرومين من الأطفال.

- ليس لدي فكرة عن هذا.

- ألا يعرف والداك؟

- لا.. أنا واثقة أنهما لا يعرفان.. وإلاّ كانوا قد أخبروني. على أي حال التبني ليس عاراً.. وهل يعرف آيان أنه ابن أخ ستيفن؟

رد متعاطفاً:

- أجل.. قالا له منذ سنوات.. وهذا بالطبع لم يؤثر بشيء على



ستيفن أو اليكسا.. فهما بجبانه كثيراً. لكن والدي نصحهما بالقول له.

- وآيان، هل أثر عليه هذا؟

- لست واثقاً.. الطريقة التي يعاملهما فيها أحياناً تجعلني أحتار.. بالنسبة لستيفن، أنا لا آبه له إطلاقاً.. لكنني لا أحب رؤية اليكسا متألمة..

كان كل هذا كثيراً على أن تستوعبه دفعة واحدة. ورأت لوك ينظر إليها بمكر وأحست بالسخط:

- أنا آسفة أن تكون أنت من يقول لي هذا. لكن لا داعي للإحساس بالمسؤولية عما قد يحدث لي.. وبكل تأكيد لا زلت قادرة على السكن مع آيان فأنا ما زلت أعتبره ابن عمتي.

قست ملامح لوك السمراء القاتمة الوسيمة وهو يستدير حول المنضدة ليشدها واقفة:

- أيتها الحمقاء الصغيرة! تعرفين أنك لن تستطيعي البقاء معه.. لقد لاحظت الطريقة التي ينظر بها إليك، وهو بالتأكيد لا يعتبرك ابنة خاله. ستبقين في منزلي مع بيرتا ومعي.

غمر زيتا ارتياح دافىء، لكن كان عليها أن تتجاهله.. لا يمكن للوك أن يكون راغباً بوجودها حقاً.. ولماذا يتحمل وجودها لأسبوعين؟ من وجهة نظرها.. قربها إليه لمدة طويلة قد يكون أمراً سيئاً فهي مولعة به جداً..

قالت:

- لن أفكر أبداً بإزعاج بيرتا أو إزعاجك إلى هذا المدى. بإمكاني البقاء مع زوجة أحد العمال.. السيدة بالو لن تمانع بأن تستضيفني، أنا واثقة خاصة وأن الصبي كيد قد رحل الآن.

أرجع رأسه إلى الوراء ضاحكاً:

- ألا تظنين هذا سيزعج السيد بالو؟ ما إن يبدأ بمقارنتك مع زوجته السمينة فستندمين على اقترابك من منزلهما.

كرهت سخريته.. وقالت بحدة:

ـ يجب أن أشعر بالغرور لظنك أن كل رجل في المزرعة يسعى ورائي.. وأحب أن أعرف منك ما هو الذي يجذبهم!

لو أنها قصدت إرباكه، فقد فوجئت بارتباكها هي حين أجابها:

ـ هل تريدين مني حقاً أن أقول لك بصراحة؟ هناك شبابك كبداية.. حلوة وفي العشرين.. وجسدك.. ثم شفتاك..

تقدم إليها وشدها إليه بقسوة.. وبدا أن الغضب هو القوة الدافعة وراء الألم الذي كان يتعمد إيقاعه بها.. لكن تهجمه كان قصيراً. بسرعة، وبذات الشراسة أبعدها عنه.

ـ والآن.. هل ستتوقفين عن لعب دور البريئة الصغيرة وتقررين؟ هل أجعلك طعاماً للذئاب أم تأتين معي بهدوء؟

ـ أنت تتصرف وكأنك أكبر من كل الذئاب!

ـ آنسة دراك، طلبت رداً.. وليس تحليلاً لشخصيتي.

استسلمت فجأة لأنه أضخم من أن تقاومه. حين كانت تحاول كانت تخسر دائماً.

ـ سأبقى معك.. إذا كنت حقاً تريدني.

برق شيء في عينيه لم تعرف ما هو:

ـ أريدك.. حقاً.. لكن الثمن أغلى من أن أهتم بدفعه. تعالي. ليس لدي وقت للوقوف هنا طوال الليل. سنذهب لإحضار أغراضك.

ـ أستطيع أن أفعل هذا بنفسي.. فمع رحيل العم ستيفن، لا بد أن أمامك الكثير لتفعله.

ـ لا شيء لا أستطيع تدبره.. لكن لا تندهشي لو طلبت شيئاً من خدماتك.. أمي تقسم أنك معجزة في الأمور المكتبية.

ابتسمت زيتا دون أن تعلق.. على الأرجح لن يقبل بأن تقترب ميلاً من المكتب.. في منزل ستيفن أصر على أن تأخذ معها كل شيء تظن أنها ستحتاجه، وأذهلها بقوله إنها لن تعود إلى هنا قبل عودة عمتها وزوجته.



أعلنت بيرتا عن غبطتها لسماع أنها ستقيم هناك، وقالت مبتسمة:

ـ سأشعر بالوحدة مع غياب السيدة.. يمكننا تسلية بعضنا طوال اليوم..

قال لوك ممازحاً:

ـ طالما تذكرتِ أن الأمسيات لي. لقد وعدت أن تحسني سباحتك، والتنس أليس كذلك؟

ابتسمت له مترددة وهي تلحق به إلى الطابق العلوي.. حيث أراها غرفة جميلة قبالة حمام وقال مبتسماً:

ـ هذا في الواقع واجب بيرتا.. لكن بما أنني كنت صاعداً إلى هنا على أي حال، سيريحها هذا..

قلقها الوحيد كان آيان.. فهي لا تدري إذا كان سيوافق على بقائها هنا، ولم تدر ماذا ستقول له.. صدمت لمعرفتها أنه ليس ابن عمتها.. وتساءلت ما الذي سيقوله والداها حين تعود إلى ديارها وتقول لهما..

لم ترَ زيتا آيان ولم يسعَ ورائها.. هكذا بعد بضعة أيام بدأت تنساه.. أو على الأقل توقفت عن القلق حوله.. في الصباح الباكر، كانت تساعد بيرتا.. ثم بعد الفطور كانت تذهب مع لوك إلى المكتب أغلب الأحيان.. فلدهشتها سألها ما إذا كانت تحب أن تساعده ووافقت بكل إرادتها.. كان في البداية يعطيها أشياء بسيطة فقط، كطباعة الرسائل، التي كانت تتطلب الردود القصيرة، وتحضير الشيكات له ليوقعها.. لكنه سرعان ما تركها تتعامل مع بعض المراسلات لوحدها، وأطلعها على سجلاته اليومية حول الخيل والماشية، وكان دائماً يتفحص عملها، لكنه لم يجد شيئاً يتذمر منه.

وكما تحسن عملها السكرتاري فقد تحسن معه لعبها للتنس.. فبعد سلسلة دروس إرسال من لوك، تمكنت من لعب ممتاز.. لكن سباحتها هي التي بقيت تقريباً كما هي. وكان السبب الرئيسي أنها كانت تسبح بعد الظهر حين لا يكون لوك موجوداً.. ذكرياتها عن البحيرة كانت لا

تزال طازجة.. ووجدت أنها لن تستطيع مواجهة أن تكون في الماء معه لوحدها!

أما في الأمسيات بعد العشاء فكانا إما أن يسمعا الموسيقى أو يتمشيا في الحديقة بانسجام أدهش زيتا فلم تعد قادرة على إخفاء سعادتها.

لم يكن يبدو أن هناك وقت طويل قبل العشاء. ولهذا قررت زيتا أن تستحم بسرعة.. كان يوماً طويلاً متعباً.. كالعادة ساعدت بيرتا قبل الفطور، ثم ساعدت لوك في المكتب.. وعملا معاً إلى ما بعد الساعة السادسة، حيث ضحك وقال إن بإمكانها العودة إلى المنزل لتتبرج وتتهيأ للمساء.

ولم تدر ما الذي جعلها تقول:

ـ قريباً ستعود أمك لوك، وكذلك عمتي وزوجها..

نظر إليها متسائلاً: وإن يكن؟

ـ سأفتقد للعشاء معك.

ـ أنا واثق أن أمي لن تمانع أن تنضمي إلينا أحياناً.

تمتمت، تحس بالحرج:

ـ لا.. بالطبع لا.

ابتسم فجأة.

ـ لا تقلقي زيتا.. أعرف تماماً ما تعنينه.

أحست بسعادة رهيبة أن أمسياتهما الحميمة بدأت تعني له شيئاً.. متهورة، أسرعت إلى حيث يجلس خلف منضدته، وعانقته بقوة.. واحمر وجهها كثيراً مع إجفاله.

لكن صوته كان ممازحاً:

ـ من الأفضل أن لا تفعلي هذا دائماً أيتها الشابة الصغيرة، لا تغريني.. إلا إذا كنت جادة.

في محاولة لإخفاء ندمها المباشر وارتباكها لحركتها الطائشة، ومع ابتسامة باردة على شفتيها، لم تكن وقورة في انسحابها.



وهي مسترخية تحت ماء الدوش، تغسل بعض التوتر الذي سببه غباءها، عادت أفكارها الخالية إلى لوك.. والحب الذي تشعر به نحوه.. لقد نما كثيراً منذ مجيئها لتقيم هنا.. لم تعد خائفة.. لكن في مناسبات نادرة كانت تلاحظ فيه أشياء تجعلها مرتبكة. فالرجل إذا انجذب إلى فتاة، لا يعني هذا قطعاً أنه سيتزوجها.. وستكون حمقاء لو صدقت أنه من الممكن أن يطلبها زوجة له..

غسلت آخر ما في شعرها من صابون، إلى أن وصلت ساقيها الطويلتين.. ثم أقفلت الماء، فالمياه ستكون قليلة إلى موسم الأمطار. أرجعت شعرها المبلل عن عينيها وارتدت روب الحمام وتقدمت إلى الحاجز الزجاجي لتجد أنه عالق.

* * *

# ٧ ـ الخطة المجنونة

صاحت زيتا عالياً: «أوه.. لا!» ونظرت إلى الحاجز الزجاجي بفزع.. بنفاد صبر، حاولت مجدداً ومجدداً لكنه رفض أن يتحرك.

لدقائق طويلة دفعته وهزته دون الوصول إلى نتيجة.

أخيراً.. مرهقة، ألقت نفسها على الأرض.. يجب أن يساعدها أحد ما.. لكن من أين؟ ليس هناك أحد سوى الضيوف يأتون إلى هنا، وهي أقفلت باب الحمام ومن المستحيل أن يسمعها أحد.

مع ذلك صرخت إلى أن بُح صوتها.. وفي كل مرة كانت تصمت لتجرب فتح الحاجز، دون نجاح.. حتى جاء أخيراً لوك!

جعلته يفهم مشكلتها.. مع ذلك انفعلت حين سمعته يدفع الباب الخارجي بكتفه ويحطمه..

قالت مختنقة:

ـ أنا هنا.. باب الدوش يبدو عالقاً.. لا أستطيع الخروج.

سأل بسخرية: هل جربت؟

شهقت:

ـ بالطبع جربت! ماذا تظن أنني كنت أفعل طوال هذا الوقت؟ أرجوك ألا يمكن أن تخرجني من هنا؟

تمتم بجفاء.. جفاء زائد.

ـ ابقي هادئة.. للمرة الأولى أسمع بحدوث مثل هذه الحادثة.

توسلت والبكاء في صوتها: أرجوك أسرع!

www.rewity.com بلا عنوان

- إذا لم أستطع فتحه، سأحضر لك سلماً لتتسلقي من فوقه..

صاحت:

- أمر مضحك جداً.

فجأة وأمام ذهولها انزلق الباب الحاجز بكل نعومة، ليكشف عن لوك ويده عليه.. واضح أنه لم يلق صعوبة في فتحه!

شهقت:

- ماذا فعلت له؟

لم يتحرك.. بل وقف هناك بطوله وروب قصير يغطيه حتى منتصفه. لديه حمامه الخاص، ولا شك أنه كان يقف تحت الدوش، فشعره كان لا يزال مبللاً وعيناه الرماديتان قاتمتان بالغضب:

- ماذا فعلت له؟ لقد وضعت يدي عليه وجررته.

صاحت زيتا:

- لكن هذا ما كنت أفعله منذ وقت طويل.. وكان عالقاً بشدة! حاولت وحاولت..!

في تلك اللحظة، أحست برغبة في ضربه للسخرية التي تبرز من عينيه.. وصاحت مذعورة:

- أوه.. اذهب من هنا.

رفع ذراعيه، عيناه ثاقبتان لكن صوته رقيق.

- تعالي إلى هنا.

وأكمل ساخراً:

- أنت بارعة جداً.. وأهنئك على المحاولة.

أمسكها بحيث لا تتحرك وأنزلها قربه وشد ذراعيه يضمها إليه بقسوة.. كان يعانقها بشدة لم تترك لها مجالاً للتنفس مما جعل رأسها يدور مرة أخرى، حين أرخى أخيراً ضغطه وجدت ما يكفي من أنفاس لتسأل:

- لماذا تعتقد أنني بارعة؟

- إنسي الأمر.

وأحست بقلبها يضرب بشدة، مع تجدد عناقه لها. حاولت التفكير بصفاء، لكن فراغاً مظلماً كان يبتلعها وتأوهت بذهول:

- بيرتا.. العشاء..

لكن لوك ضحك بسيطر بسهولة على مقاومتها الضعيفة.. ولم تعرف من أين وجدت القوة لتقول هامسة: كفى.

التوى فمه ساخراً:

- هيا الآن حلوتي.. لا تقولي لي بعد كل خططك المدروسة بدقة أنك ستراجعين؟

حاولت زينا التفكير بمنطق.. في صوت لوك ونظراته شيء فشلت في فهمه.. قد يكون رجلاً جذاباً.. لكنها أحست أنه لن يتصرف هكذا عادة مع ضيفة في منزله.. بدا وكأن شيئاً ما يقوده، يدفعه، لكن وهي على وشك أن تسأله بدأ عناقاً آخر بقسوة واستمر طويلاً.

ثم سمعا صوت بيرتا تنادي من أسفل السلم.

- ألا يريد أحد منكم العشاء الليلة؟

ببطء أبعد لوك ذراعيه من حولها، ينظر لحظات طويلة إلى وجهها الساخن الأحمر.. ثم تمتم شيئاً من بين أنفاسه.. حين رد على بيرتا كان صوته أعمق من المعتاد.

- ابدأي بتقديم العشاء.. سأنزل بعد دقائق.

كانت زينا ممتنة لتناول بيرتا العشاء معهما. وجرى الحديث في أشياء عامة.. وأحست براحة أكبر حين قال إن أحد جيرانه بريسكوت كوايتس سيأتي في اليوم التالي ليستعرض بعض المواشي، وعلى الأرجح سيبيت هنا.

ابتسمت بيرتا:

- لا يهم.. ستتدبر الأمر أنا وزينا..

ابتسم ساخراً:



- أنا واثق أن لا شيء صعب على زينا.

التقت عيونهما وطافت عيناه بسخرية عليها.. وازداد عمق اللون الزهري على وجنتيها فأحنت عينيها إلى طبقها بسرعة.

بعد العشاء، حين ذهب إلى مكتبته.. مضت ساعة تقريباً قبل أن تستعيد قوتها بالكامل لتقرع الباب.. وكأنما أدرك من الطارق، فرد بأمرها بالدخول باختصار شديد.

- لوك.. أدرك أنني أغضبتك.. لكن باب الدوش كان عالقاً بالفعل.

لم يضع القلم من يده:

- انسي أمر هذا.

وهذا ما يدل على أنه يريد الخلاص منها بسرعة. وهذا بدوره ما أثار الذعر في نفسها وانفجرت:

- أنت تستطيع النسيان فهو لم يحدث لك ولم تكن تجربة رهيبة.. لكن الرهيب أنك تشك في كلامي!

- لكن بالتأكيد لم تكن حادثة مهمة جداً؟

- كانت مهمة بالنسبة لي!

تنهد لوك.

- هل يجب دائماً أن تكوني درامية هكذا زينا؟ إذا كان هذا سيسعدك أكثر، فأنا أعتذر على قولي أشياء واضح أنك لم ترغبي في سماعها.. والآن.. إذا كنت لا تمانعين، أنا مشغول جداً.

تمتمت:

- العذر العادي..

واستدارت عنه.. لكنه وصل الباب قبلها:

- أقترح أن تتوقفي عن الاعتراض آنسة دراك.

فتح الباب لها، ودفعها بلطف إلى الخارج.

لم تلاحظ زينا القفل المكسور على باب الحمام فقد أصلحه لوك في اليوم التالي.. مع ذلك عرفت أنه سيذكرها دائماً بما حدث داخله.

كان بريسكوت كوايتس رجلاً لطيف المعشر، وأسمر طويلاً، مثل لوك، وفي ذات العمر تقريباً.. والداه كانا أميركيين وكذلك جداه.. ولقد استثمر الكثير من المال على الممتلكات التي تشمل مزارع الأغنام والأبقار في أوستراليا.. هو وأخته بيلا مولودان هنا.

لم يكن بريسكوت متزوجاً.. ولقد نظر كثيراً إلى زيتا التي، وربما بسبب تباعد لوك المستمر، اعتنت بتبرجها أكثر من ذي قبل تحدياً للوك وارتدت أجمل ثوب لديها.

قبل مغادرته، دعاهم بريسكوت جميعاً إلى حفل شواء كان قد أقامه والده.

ـ ونأمل أن تسبق الأمطار.. آخر غياب بيلا في زيارة موعد الحفلة.

سألت بيرتا: ومتى عادت؟

ـ قبل الأمس.

نظر إلى لوك الذي لم يقل شيئاً ثم استدار إلى زيتا:

ـ إنها تتطلع شوقاً للقائك.. لا يأتينا دائماً زائر من انكلترا.. وسأتمكن أن أقول لها كم أنت جميلة.

صاحت بيرتا:

ـ من الأفضل أن لا تفعل.

وبدا عليها الإحباط، بينما تجهم وجه لوك.. ما هذا كله؟ لكن زيتا لم تسمح لنفسها أن تكون فضولية، فهناك ما يكفي من غموض في كولاري.

في اليوم التالي سألت لوك ما إذا كانوا سيذهبون إلى حفل الشواء. ورد باختصار:

ـ سيأخذك أحدهم إلى هناك.. فلا تقلقي.

ـ لم أكن قلقة.. وأنت.. ألا تحضر مثل هذه المناسبات؟

ابتسم:

ـ بالطبع أحضرها.



في الفترة الأخيرة، كانت نادراً ما تنظر إليه دون أن ترتجف وكأنها مراهقة أسقمها الحب.

ـ إذن لماذا تتظاهر أنك لن تذهب إلى هذه؟

ـ أنا لا أتظاهر بشيء.. لكنني أقول إنني لا أذهب إليها كلها.. وأتصور أن المزرعة كلها ستذهب إلى «وامبولا» لذا لن تفتقدني إلى الصحبة.. لكن لو طلبت مني بلطف، فقد آخذك بنفسي.

من المذهل أن تعي كيف أن بضع كلمات يمكن أن ترفع المعنويات، وسألت:

ـ لماذا لا يستطيع الناس إقامة الحفلات في موسم المطر؟

ـ نقيمها لكن ليس من السهل التجول، ويجب أن تكون داخل المنازل.

ـ لا يمكن أن تمطر السماء طوال الوقت بالتأكيد.

ـ لا.. لكن لثلاثة أشهر، وأحياناً أكثر. وتفيض الأنهار، وتصبح التنقلات مستحيلة، والعواصف عنيفة. كما ستكتشفين بنفسك قبل أن تعودي إلى موطنك.

سحبت زيتا نفساً عميقاً وشحب وجهها، ليس بسبب العواصف المتوقعة لكن لمجرد التفكير بالعودة إلى الوطن.. وعرفت بمرارة أن مثل هذه التذكير بأن إقامتها هنا محدودة، جيدٌ لها. وواضح أن لوك يقصد تذكيرها بشيء ما؟

مع تبخر السعادة التي أحست بها منذ قليل، تمتمت بصوت خفيض:

ـ أتساءل متى سيعود العم ستيفن وعمتي اليكسا إلى المنزل؟ لقد مر على غيابهما أسبوعين.

هز رأسه سلباً، فقطبت:

ـ حتى أنهما لم يرسلا بطاقة بريدية، ولا لي على الأقل.. ولا أعتقد أنك تعرف أين هما.

رد بإيجاز..

ـ لا.. لا أعرف.

بدأ يفتش في كومة أوراق، ثم أكمل ببرود:

ـ يجب أن نتابع.. أريد أن أنهي هذا.

منذ تلك اللحظات تحول لوك إلى اللطف معها لكنه بدا متباعداً بشكل غريب. بعد العشاء، معظم الأمسيات كان يختفي في مكتبه، ولا تجد زيتا الشجاعة للسعي إليه هناك.. لم تكن تراه كثيراً، مع ذلك لم تكن تعيسة. كانت تحس بالرضى لمجرد وجودها قربه..

حين عاد ستيفن واليكسا، أحست بالخجل لعدم سعادتها برؤيتهما.. كانت وبيرتا مشغولتين في المطبخ بعد الغداء حين أجفلتهما اليكسا بالدخول.. وجلست بيرتا شاهقة.

ـ أوه.. يا إلهي! لقد أخفتني اليكسا!

بعد التحية والاعتذار، قالت تفسّر:

ـ لم يكن في المنزل أحد وإلا لما جئت إلى هنا.. كانت عطلة جميلة، لكن ستيفن لم يشعر أنه على ما يرام وإلا لأقمنا مدة أطول.. ذهبنا إلى الساحل وقد أفادني هذا كثيراً.. ولهذا لا أفهم سبب استعجال ستيفن.

ابتسمت بيرتا:

ـ ربما كان متشوقاً للعودة.

سألت اليكسا زيتا:

ـ أين الجميع؟ بدا لي المنزل مهجوراً.

نظرت زيتا أخيراً إلى عمتها، وانطلق لسانها:

ـ لا أعرف أين هو آبان.. لوك اعتقد أن من الأفضل أن آتي إلى هنا بعد رحيلكما.. وأخشى أنني لم أرَ آبان منذ ذلك اليوم.

قالت بيرتا:

ـ أظنه يعمل في مكان بعيد.. وأين ستيفن الآن؟

تنهدت اليكسا:



ـ أين تظنين هو؟ لقد ذهب إلى المكتب..

قالت بيرتا:

ـ لا أعتقد أن لوك سيكون هناك.. لكنني واثقة أن ستيفن سيجد كل شيء على ما يرام.. فقد كانت زيتا تساعد لوك، لذا فلا شيء متأخر.

ضحكت اليكسا بخفة:

ـ سيكون مسروراً، لكنك تعرفين كيف هو.. اعتقدت أنني أقنعته بشراء منزل على الساحل، لكنه غير رأيه في آخر لحظة بقوله إن لوك لا يستطيع الاستغناء عنه.

لم تعلق زيتا أو بيرتا على هذا.. بعد دقائق أعلنت اليكسا أنها يجب أن تعود، وطلبت من زيتا أن تذهب معها قائلة بشيء من التأنيب:

ـ سيلزمنا طوال بعد الظهر لتهوئة المنزل وتنظيفه.

لحقت زيتا بها، ولم تقل لعمتها ان لوك منعها من الذهاب إلى المنزل في غيابهما لأنها لم تكن متأكدة من تصديقها لها.. كما أن لوك كان قد قال لها إنه سيأتي بامرأة تنظف البيت.. لكن إذا لم يكن آبان هنا فلا شك أنه لم يجد المسألة ضرورية.

سألت اليكسا وهما يعملان:

ـ هل سمعت شيئاً من والديك مؤخراً؟

كانت زيتا تجهد نفسها لإزالة الغبار من تحت السرير:

ـ أجل.. رسالتان.. والجميع بخير.

ـ عظيم.

ثم اختفى إشراقها مع تحولها إلى الموضوع الرئيسي الذي طالما كان يشغلها:

ـ آمل أن يكون آبان بخير كذلك.. لقد اعتقدت أنك كنت تعتنين به.

نظرت زيتا إلى عمتها بغير ارتياح: أنا آسفة..

كانت قد قررت أن لا تذكر لها أنها عرفت بأن آبان ليس ابنهما

حقاً.. فقد يجرح هذا مشاعر اليكسا.

قالت اليكسا:

ـ أظن من الأفضل أن تذهبي لتجدي ستيفن.. لا زلت أشعر بالقلق عليه زيتا.. أقنعيه بأن يأتي معك لتناول الشاي.

خرجت زيتا على الفور.. كانت تفكر أن تستحم وتغير ملابسها، لكن عدم ارتياح بال عمتها كان الأهم بالنسبة لها.. كان الوقت قد قارب شهر كانون الأول، والصيف الأوسترالي على وشك أن يبدأ حلول عيد الميلاد وسط الصيف أمر يحتاج إلى وقت ليعتاد المرء عليه.

تنهدت زيتا بخشونة.. بدا لها أن وقتاً طويلاً مر منذ ساعة الفطور واليوم لا زال طويلاً.. إذن لديها متسع من الوقت لتأتي بأغراضها من منزل لوك..

كان لوك قد خرج بعد الغداء مستخدماً مروحيته.. وتساءلت عما يفعل، الآن وقد عاد ستيفن لن يحتاج إليها في المكتب، وأدركت أنها ستشتاق إلى الساعات التي كانت تقضيها معه.. وكانت مشغولة بهذا التفكير، بحيث أنها ذعرت عند دخولها المكتب لرؤيتها العم ستيفن منهاراً على مكتبه.. الصدمة سمّرت قدميها، وشهقت:

ـ عمي ستيفن..!

استقام على الفور، وجهه بلون الرماد الأصفر.. لكنه بدا متيقظاً كعادته، وخف خفقان قلبها وبدا عليها الارتياح.

نظر إليها وسألها دون مقدمات:

ـ حسناً.. هل طلب منك لوك الزواج؟ أنتن الفتيات الإنكليزيات كما قيل لي سريعات الحركة. فهل تمكنت من الإيقاع به؟

همست وعيناها تتسعان رعباً: ماذا تقول؟

صاح بنفاد صبر:

ـ أسألك ما إذا كان لوك طلب منك الزواج منه.. هل نجحت خطتنا؟



خطة من؟ صاحت بحدة: لا!

تجاهلت الأمر وتظاهرت أنها لا تعرف عما يتكلم حين قاطعهما صوت أجش من خلفهما:

ـ وليس من المحتمل أن أطلب منها الزواج ستيفن. وأنا آسف إذا كان هذا ما كنت تصبو إليه.

استدارت زيتا لتجد لوك ينظر إليها مباشرة.. كان غاضباً وبكل لونه ضرب الباب فأوصده.. كان على الأرجح يعمل فالعرق كان يبلل وجهه وذراعيه.. بدا مسترخياً تماماً وهو يراقبها بعينيه السوداوين القاسيتين.

أحست بأن كارثة ستقع عليها وهي تنكمش من الازدراء المثلج على وجهه وقالت متنفسة:

ـ لوك! لوك..

وهي تحاول التوسل إليه كي يصغي إليها خانها صوتها.

كانت آهة ستيفن تملأ الجو، قال لها لوك ناصحاً بحدة:

ـ استسلمي زيتا! لست بحاجة إلى الادعاء أكثر من هذا.. أعرف تماماً لماذا جاء بك ستيفن إلى هنا ولماذا كنت مستعدة للمجيء.. كانت محاولة جيدة ستيفن.. لكنها لن تنجح.

هز ستيفن كتفيه دونما اكتراث.. وشحب وجه زيتا أكثر فأكثر، وسألت بيأس:

ـ هل لأحد منكما، أرجوكما، أن يشرح لي ما يجري؟ ما الذي فعلته؟

التوى فم لوك:

ـ أتحاولين إقناعي بأنك لا تعرفين لماذا أرسل ستيفن بطلبك؟

أكملت همساً:

ـ أنا لا أحاول إقناعك بشيء! جئت إلى هنا في عطلة.. وهذا كل ما أعرفه، وبسبب العمة اليكسا.

ـ ألم تتساءلي لماذا أزعج ستيفن نفسه بعد هذا الزمن الطويل؟ ولماذا أصرّ على دفع ثمن تذكرتك؟

صاحت: لا!

ـ أظن إذن أنك عرفتِ بعد وصولك مباشرة. وكان من الممكن أن أقع في الفخ لولا أن ستيفن بالغ في تمثيل دوره.

التفت إلى ستيفن:

ـ حين طلبت مني لقاء ابنة أخ زوجتك في بيرث، قلت إن ليس لديك صورة لها تساعدني على التعرف إليها. لكن، حدث أنني رأيت صورة لزيتا فوق ذات المكتب الذي تجلس وراءه الآن، ولا شك أنك تركتها هناك غافلاً. لكنني تعرفت إليها فوراً. وأدركت أنك عدت إلى ألاعيبك القديمة. لكنها ألاعيب زواج هذه المرة.

ارتبكت زيتا فتولاّها الحزن والعبوس.

ـ أذكر أنني تساءلت عن الصورة حين سألتني في المطار. كنت واثقة أن أمي أرسلت صورة. لكنني ظننت أنها ضاعت. لكنك مجنون إذا اعتقدت أنني جئت إلى كولاري وأنا أتوقع أن أتزوج بكَ!

نظر لوك إليها بثبات، كانت تعابيره المزدرية تؤلمها أكثر من غضبه. وقال:

ـ ستيفن هو المجنون. أنا عادة أتغاضى عن خططه. وليس هذا صعباً، فلدي خبرة سنوات في هذا. وهذه هي المرة الأولى التي يدفعني فيها الفضول إلى أن أرى إلى أي مدى سيذهب. وربما لأنك متورطة.

ـ لكنني لست متورطة! ولم أكن يوماً!

صاح لوك:

ـ لا تكذبي عليّ! في إحدى الأمسيات الأولى التي كنت فيها هنا، وبعد أن أوصلتك إلى المنزل، عدت لأستوضح أمراً لا أذكر ما هو. لكنني سمعت صدفة حديثاً أو نهايته بينك وبين ستيفن.

لعقت زيتا شفتين جافتين، محاولة بيأس أن تذكر ما الذي قيل في



تلك الليلة التي يشير إليها. كان يعانقها لحظة وصول ستيفن وأليكسا من زيارة البلدة وذهبت إليكسا لصنع القهوة.. وبدأ ستيفن حديثاً حول شيء ما.. ثم سمعت صفقاً لباب الشرفة الداخلي أجفلهما.. لكن ما قيل بالضبط لا تذكر منه شيئاً!

أخيراً سألت:

ـ لماذا يريد ستيفن مني أن أتزوجك؟

ـ ألم تساليه؟ ألم يذكر لك أنه لا يريد أن يكون هنا أحد يريد الخلاص منه؟

تمتم ستيفن يدافع عن نفسه:

ـ سابينا تريد هذا!

حدقت زيتا بعمها.. ماذا يقول؟ لم يحاول إنكار كلمة مما قاله لوك.. ولم ينكر لوك كلمات ستيفن.

بدا على لوك أنه فقد الاهتمام، وقال ببرود:

ـ أخشى أن تكون إجازتك ستيفن قد ضاعت هباء.. لقد كنت غبياً جداً.. وأعترف أنني كنت غبياً مثلك.. لقد تعمدت الاهتمام بزيتا لأرى إلى أي مدى هي مستعدة للوصول.. ولا يجب أن تلومها على فشل خطتك.. لقد أعطتني كل ما في وسعها من تشجيع.

ابيضّ وجه زيتا شحوباً وهي تلتقي نظرة لوك إليها.. وقد أدركت فجأة معنى ما يقول. وصاحت باندفاع متهور:

ـ لا يمكن أن تصدق أنني كنت أمثل دوراً..! وأن كل شيء جرى بيننا..

قاطعها بقسوة:

ـ لم يحدث أي شيء؟

لم يوقف النفس العميق الذي أخذته صوتها عن الارتجاف، لكنه ساعدها على الكلام:

ـ أعرف.. وأنا لا أعني بالمعنى.. الجسدي.

رد ساخراً:

ـ ربما لا . . لكن هذا أيضاً لم يكن غلطة منك.

عضت زيتا شفتها حتى أحست بطعم الدم:

ـ لا أعرف كيف يمكنك الوقوف هنا والتفكير بشيء كهذا وفي وقت تعرف جيداً أن هذا غير صحيح!

أبدى لوك ضجره:

ـ أعتقد أن الوقت حان لتتوقفي عن تمثيل دور البرينة كالأطفال معي زيتا. على الأقل ستيفن صادق. . ما إن كشف أمره لم يعد يحاول الادعاء بأنه الطرف المجروح.

شهقت زيتا وهي عابسة مقطبة الحاجبين لا تصدق ما تسمع:

ـ أنت مقتنع حقاً أنني ساعدته بمعرفتي! إذا كان ما تتهمنا به صحيح وهذا ما أشك به كثيراً.

تطلعت إلى ستيفن بلهفة آملة أن يدعمها بدلاً من النظر إلى النافذة، لكنه بدا تماماً صورة للمذنب المهزوم.

راقبهما لوك معاً للحظات، ثم تنهد متوتراً:

ـ لا رغبة لي في إثارة مشكلة حول هذه المسألة آنسة دراك. . لقد أنقذني ستيفن بما يكفي من المآسي المضحكة. . أقترح الآن أن تأتي معي لتأخذي أغراضك. . فلدي رغبة مفاجئة بأن أراك خارج بيتي وخارج حياتي كذلك!

اضطرت زيتا إلى اللحاق بلوك. . وردت عليه صائحة:

ـ سأسافر في الحال! لا أريد البقاء هنا يوماً آخر!

لم يبدُ على لوك الانزعاج:

ـ عظيم. . إذا أردت أية وسيلة نقل، فسأجعل هذا أول اهتماماتي.

كانت زيتا مستعدة للرحيل فوراً لو أنها قادرة. وتمنت لو أن هناك وسيلة تستطيع بواسطتها أن تختفي! لم تكن قادرة على تحمل المزيد من ازدراء لوك لها. . وتمنت بتعاسة لو أن الأمور كانت مختلفة لكن لا توجد



عصا سحرية تستطيع التلويح بها لمحو كل ما حدث.

بالرغم من هذا، قامت بمحاولة أخيرة:

ـ أنت تفهم الأمور بطريقة خاطئة.

قاطعها بسرعة:

ـ دعيني أقرر هذا بنفسي.

ـ لست مضطرة. سأكون سعيدة لو استطعت السفر والابتعاد عنك. . لكن هذا لا يعني أنني مذنبة. . ولو فكرت يوماً أنني. . بدأت أغرم بك. . فقد شفيتني تماماً!

جعل صوته عظامها تتجمد:

ـ دعينا لا نخوض في مسألة مشاعرك وحالتها البعيدة عن التصديق. . قليل من النساء يستطعن أن يحببن غير أنفسهن.

ـ لكن لسن جميعاً متشابهات.

وصلا منزله، ولم تكن بيرتا موجودة وكانت زيتا ممتنة لهذا. وأدخلها لوك بسرعة، يده تمسك ذراعها بقسوة مؤلمة، وتجاهل متعمداً احتجاجاتها.

ـ تعالي. . أنا مستعجل إذا كنت أنت غير مستعجلة.

شهقت:

ـ أستطيع تدبير أمري بنفسي! ولا داعي أن تأتي معي!

رد ببرود:

ـ أنوي أن أراك بنفسي خارج منزلي.

في غرفتها، وقف مشرفاً عليها يتفحص كل درج وخزانة تفرغها. . فقالت له:

ـ لا تقلق. . حتى ولو نسيت شيئاً فلن أعود لآخذه.

سخر منها: أولن تفعلي؟

ارتجف صوتها:

ـ لا. . لن أفعل!

توقفت عن توضيب أغراضها، تفكيرها يدور حول ما حدث بحيث لا تستطيع أن تتناساه:

ـ لوك.. لماذا لا تصدق أنني لا أعرف شيئاً مما خططه ستيفن؟ أجد صعوبة في أن أصدق أنه تركني لوحدي هنا كي يغريك لتتورّط معي.. لكن لو أنه فعل فلا دور لي في هذا.

فجأة، لم يعد لوك يستطيع السيطرة على نفسه.. فامتدّت يداه إليها وأمسك بها بسرعة يصيح بخشونة:

ـ لا أريد المزيد من هذا الكلام زيتا.. ربما لم يقل لك ستيفن كل شيء.. فالناس غالباً ما يغرقون في خداعهم، بحيث لا يتحملون كشف الكثير عنه.. لكن وكما قلت من قبل.. أرفض أن أزيد شيئاً. يكفي أنك كنت مستعدة للمشاركة معه.

ـ ولا شك أنك تمتعت وأنت تشجعني على هذا.. أعتقد أن كل ما ذكرته عن امتلاك العديد من المزارع وأنك ثري كان جزءاً من اللعبة؟ وتجرؤ على اتهامي بالميلودراما؟

اشتد ضغط شفتيه حتى رفتا.. وآلمتها يداه على كتفيها.

ـ لو أنك لم تمثلي متعمدة دور البراءة الساذجة، لكنت قاومت إغراء المال، قليل من الفتيات يستطعن مقاومة صورة مربي الماشية الثري.

حاولت الرد ببرود:

ـ أنت إذن فقير حقاً؟

تركها بحدة وقال متشدقاً:

ـ يبدو من المخجل أن أخيب أملك.. فبكل تأكيد لن تحصل زوجتي على الفرو والألماس.

أحست زيتا بألم لإدراكها أنه يعتقد أن هذا ما كانت تسعى إليه.. وردت مختنقة:

ـ لن يكون للفرو وللألماس فائدة هنا.

صمتت وعيناها تلتقيان بعينيه بجنون.. وأنفاسها تتصاعد بصوت



خشن.. ثم أكملت:

ـ لكن، مما سمعته، السيدة رايون تستطيع أن تشتري لنفسها من تريد!

***

## ٨ ـ الوعد الملعون

حال أن تكلمت زيتا بهذا ندمت . . قد يكون آيان عندما قال لها هذه المعلومات توقع منها الكتمان .

جمدت عينا لوك :

ـ إذن كان هناك من يتكلم؟

هزت زيتا كتفيها وتابعت طي ثيابها .

ـ من؟

وآلم كتفيها مجدداً بإصابتها وإجبارها على الاستدارة لتواجهه ، لكن أنة ألمها لم تزعجه .

ـ لست مضطرة أن أقول لك .

أحست بالتعب والاكتئاب . . ولكنها أصرت على تحذيره . فجأة ، وبالرغم من تعبها ، أخذت الدموع تنهمر على وجنتيها بغزارة .

صاح يدفعها عنه :

ـ أوه بحق الله! وفري علي هذا! ليس من الصعب التكهن ممن أخذت معلوماتك ، وليس سراً على أي حال أن سابينا أرملة ثرية .

تنشقت ، ثم نفخت أنفها . . ومسحت عينيها بظاهر يدها . . ما زالت يداها متسختين لأنها كانت تنظف المنزل بعد الظهر ، وقد تركت لطخات داكنة على وجهها . . وأجفلت عندما لمحت صورتها في المرآة .

فجأة لم تعد تهتم . . الألم داخلها دفعها لترد بعنف ساخط .

ـ ربما حين تتزوج السيدة رايون ستصبح سخية معك بمالها!

رد متشدقاً بنعومة مخيفة:

ـ طبعاً.. لكنني لست على استعداد للبحث في مستقبلي أو المرأة التي قد تشاركني فيه.. معك.

ردت تعتذر: أنا آسفة.

لكنه جعلها تشعر بالأسوأ حين ضاقت عيناه وقال لها دون مقدمات:

ـ إذا كنت قد انتهيت، دعينا نخرج من هنا.. سأرسل لك حقائبك مع أحد، و.. حين تعود أمي.. أنت غير مجبرة على مساعدتها لو طلبت منك.

همست زيتا:

ـ لا تقلق.. فأنا أنوي السفر فوراً، ولا أعتقد أني سأراها ثانية.

قال بسخرية:

ـ هذه أخبار جيدة.. لكنني أتساءل عما إذا كنت ستغيرين رأيك.

ـ أنت لا تستطيع الانتظار لتراني أرحل أليس كذلك؟

ـ لن أستطيع التظاهر أنني سأكون آسفاً..

وضحك دونما رحمة، مكملاً:

ـ هل يمكن أن تلوميني لهذا؟

لم ترغب في الجدال: لا!

ـ ماذا ستقولين لأليكسا؟

أفاقت من كبوتها لتسترجع أفكارها وتفكر باليكسا التي كانت تعيش حالة سعادة زائفة، ونظرت إليه دون فهم للحظة:

ـ أليكسا؟ أوه.. فهمت.. أعتقد أنني سأقول لها إنهم يحتاجون إليّ في موطني. لقد ذكرت لها أنني تلقيت رسالتين، وأنني فهمت أنهم مشتاقون لي.

قال ساخراً:

ـ عبقرية كما أنت دائماً.

اشتعل غضبها مجدداً:

ـ وماذا تتوقع مني أن أقول؟ أنني وقعت في حبك وأن قلبي تحطم؟

ـ وهذا ما لن يكون صحيحاً؟

تعثرت فجأة ووقعت على ركبتيها.. وأحست بالراحة لأن وقوعها أنقذها من الرد على سؤاله.

حين شدها لوك لتقف بعد أن نفد صبره، كانت قد استطاعت أن تسيطر على نفسها نوعاً ما.. وقالت له:

ـ لقد أمضيت عطلة جيدة.. ولا أظن العمة اليكسا ستمانع كثيراً.

ـ عظيم.

وكأنما تفكيره لم يكن منصباً على ما تقول.. سار بها إلى خارج الباب الأمامي، وقال:

ـ قد لا أراك مرة أخرى قبل سفرك. لذا سأقول لك الآن وداعاً.

ردت باكتئاب: وداعاً.

للحظات بدا متردداً، ثم أدار ظهره ليعود إلى الداخل.

ركضت زينا طوال الطريق الداخلية غير آبهة بمن يراقبها، تحس بالخجل لأنها تركت لوك يرى مدى تعاستها..

مع تهديد دموعها أن تتحول إلى نحيب مجنون، سعت إلى الحماية تحت بعض الأشجار، تعرف أنها بحاجة إلى دقائق لتتنشق الهواء وتستعيد أنفاسها قبل مواجهة اليكسا.. ولم تكن تريد شيئاً أكثر من أن ترمي نفسها على التراب الأحمر وتنتحب.. لكن هذه راحة يجب أن تحرم نفسها منها، يجب أن تتعلم أن لا تبكي إذا كانت ستواجه المستقبل باتزان.. لن يكون فيه لوك.. وكلما أسرعت في تقبل هذا كان أفضل لها.

استندت إلى جذع شجرة تنظر إلى السهول البعيدة.. لا تشك أنه سخر منها واحتقرها! طوال الوقت كان مؤمناً أنها جاءت إلى كولاري للزواج منه فقط.. كما أن عدم إجفالها أو انكماشها من مغازلاته أو رفقته، ساعده على القناعة أكثر بظنونه.



لكن، لو كان صحيحاً أن ستيفن رغب في أن يطلبها لوك للزواج، فماذا كان يتوقع أن يكسب؟ واضح أنه كان يأمل بموطئ قدم دائم في كولاري، دون حاجة إلى القلق من سابينا رايون.. لكنها متأكدة أن لوك لن يسمح ولو للحظة واحدة أن تفعل أية امرأة ولو كانت زوجته، أي شيء دون موافقته.

حسن جداً.. على ستيفن من الآن وصاعداً أن يفتش عن حل آخر لمشاكله.. في الغد سوف ترحل فالأمور ستزداد سوءاً لو بقيت..

سألتها اليكسا بحدة وهي تدخل المطبخ ببطء:

ـ أين كنت؟ حين تأخرت في العودة ذهبت لأرى ماذا يؤخرك، لكن عمك ستيفن قال إنك غادرت المكتب.

سألت زينا متلهفة لتعرف كم أخبر زوجته:

ـ أين هو الآن؟

بدا القلق على اليكسا:

ـ أوه.. لا زال في المكتب.. ولم يرغب في العودة إلى المنزل معي.

عرفت زينا أنه لم يخبرها بشيء، وقالت:

ـ كنت أوضب حقائبي في منزل لوك.

نظرت إليها اليكسا فأخذت نفساً عميقاً:

ـ لست أدري كيف أقول هذا لكنا عمتي اليكسا، لكنني سأغادر كولاري صباح الغد.

بدت الحيرة الكاملة على اليكسا:

ـ تغادرين كولاري؟.. ولماذا؟

فتشت زينا بيأس عن عذر مقنع:

ـ أظن أنني أحن لموطني.. وبقرائتي لرسالة أمي الأخيرة، أستطيع القول انهم يفتقدون لي.. وأظن أن من الأفضل أن أعود.

ـ لكن لم يمض عليك هنا سوى بضع أسابيع!

ـ وهذا أطول من العطلة العادية.

جلست اليكسا فجأة وكأنما لا تعرف ماذا تقول.. ونظرت إلى زيتا، وبداها المخشوشنتان من العمل في حجرها:

- ليس السبب شيئاً قلته أو فعلته.. أليس كذلك؟ ما كان يجب أن نسافر ونتركك كما فعلنا.. لم أكن راغبة.. أوه.. حسناً!

احمر وجهها بشكل مؤلم:

- هذا لا يهم حقاً.. لكن لو أن السبب شيئاً فعلته، وأستطيع إصلاحه..

وضعت زيتا يدها بمحبة على ذراع عمتها تقاطعها:

- لا! لا شأن لك بالأمر عمتي اليكسا.

لكن اليكسا تابعت وكأن زيتا لم تتكلم:

- لم أكن رفيقة جيدة لك عزيزتي.. لقد تذمرت كثيراً من أم رأسي.. لكن لم يكن لدي ابنة لأبوح لها بسرّي.. ستيفن وآيان طيبان.. لكنهما لا يصغيان إلى أي شيء يؤلمني.. وجودك هنا أراحني..

هزت زيتا ذراع اليكسا بحنان تحاول التأثير عليها:

- أنت نادراً ما تشتكين، عمتي. وأنا لم أمانع أبداً في مساعدتك أو الإصغاء إليك.

ابتسمت بلطف تكمل:

- سأقول لك ماذا.. حين تحصلين على منزل أحلامك على الساحل سأعود إليك.. وسأبدأ بتوفير المال اللازم فوراً!

تأخر ستيفن بالعودة. وطلبت منها اليكسا أن تؤخر إعلان رحيلها إلى الصباح، وقالت همساً:

- قد يكون أفضل حالاً بعد نوم ليل مريح.. لا يبدو بصحة جيدة، وإذا قلت له الآن فقد يلوم نفسه ويقلق.. وما يخيفني أن يسبب له هذا مرضاً حقيقياً.

إذن لا بد أن اليكسا تعرف شيئاً، وكانت زيتا تريد أن تعرف كم تعرف عمتها.. لكنها قررت أن لا تسأل، فما من كلام قد يغير شيئاً



الآن، بل يمكن أن يزيد الأمور سوءاً.

لم تنم زيتا إلى ما بعد الفجر، واستفاقت مجفلة لتجد لوك يهزها.

صاحت بعجب: لوك؟

كانت العينان اللتان رفعتهما إلى الرجل الواقف إلى جانبها متورمتين من دموعها الأخيرة، لكنهما زرقاوان صافيتان حلوتان.. فاتنتا البراءة.

- أوه!

اختنقت.. مدركة فجأة اشتداد سواد نظرة لوك واحتراقها فوقها، فاحمرت وجنتاها بألم وهي تمسك فجأة الغطاء لتجذبه فوق جسمها.. وقالت متلعثمة:

- كيف تجرؤ على دخول غرفتي هكذا؟ أنا لست جاهزة بعد.

كانت تظنه جاء ليوصلها إلى «ديربي» بنفسه. لا بد أنه يريد أن يتأكد أنه تخلص منها ولا يريد إعطائها فرصة لتغيير رأيها.

- لم أجيء لأساعدك على الخروج من أملاكي بسرعة مع أنني أحب أن أفعل.. ستيفن مريض، والطبيب في طريقه إلى هنا.. وسيصل في أية دقيقة.. لكن اليكسا محتاجة لمساعدتك.

شحبت مشاكل زيتا أمام المشكلة التي تواجهها اليكسا الآن.

- وما بال عمي ستيفن؟

- أظنها نوبة قلبية.. وقد أكون مخطئاً بالطبع.

- سأنهض من السرير حالاً إذا لم تمانع في الخروج.

استدار مغادراً، لكنه توقف عند الباب لينظر إلى الخلف.. للحظات بدا أن الكون كله ليس فيه سواهما.. لكنه قال بخشونة:

- أسرعي قدر استطاعتك.

في الردهة، وجدت زيتا عمتها تتكلم مع لوك الذي استدار نحوها:

- لقد دخل الطبيب إليه لتوه.. ويبدو أن ستيفن لا يعرف شيئاً عن رحيلك الوشيك!

نظرت زيتا إلى عمتها التي سارعت للقول:

- لم يكن في صحة جيدة بالأمس.. وطلبت من زيتا أن لا تذكر له شيئاً خوفاً من زيادة سوء حالته.. اعتقدت أن من الحكمة الانتظار حتى الصباح و.. كنت آمل بإقناعها بتغيير رأيها.

كانت زيتا ممتنة لأليكسا لأنها لم تسمح للوك أن يعتقد أنها المسؤولة عن انهيار ستيفن.. لكنها تشك في أن يحسن هذا رأيه بها.. وسألت اليكسا بلهفة:

- هل أستطيع فعل شيء لأساعد؟

قالت اليكسا: «لا أعرف..»

وخرج الطبيب لينضم إليهم، فهمست:

- كيف حاله؟

كان هدوء الطبيب مطمئناً.

- أعتقد أننا يجب أن ننقله إلى المستشفى، سيدة آلفين. ليس لدي أدوات هنا تساعدني على إجراء الفحوصات.. إنه مستعد للذهاب.. لكن قبل أن نأخذه يريد رؤية ابنة أخ زوجته.

ونظر إلى زيتا متسائلاً. فقدمها لوك له بسرعة وسأل:

- وهل هذا ضروري جداً؟

- يبدو قلقاً جداً ومضطرباً.. ومهما كان الأمر الذي يشغل باله. فهو لا يساعده في حالته.. فإذا كان هناك أية طريقة لإراحته آنسة دراك. سأكون ممتناً إذا كان بإمكانك إراحته.

التفتت اليكسا إليها متوسلة، وأمسك لوك ذراعها وجرّها تقريباً إلى جانب سرير ستيفن. ولم يكن لديها أكثر من ثوان لتتساءل لماذا يريد أن يراها.. ربما سيسألها أن تسامحه على ما فعله؟ ولسوف تسامحه فهو مريض جداً.. لكنها كانت لا تزال تشعر بالغضب في قلبها ولن يكون من السهل أن تتظاهر.

جاهد ستيفن ليتنفس:

- زيتا؟ أنا.. أردت أن أطلب منك وأنا غائب.. أن تستمري في



المساعدة بأعمال المكتب؟

استدارت عينا الطبيب إليها.. وسألها لتسمع هي فقط:

- هل هذا ما كنت تقومين به؟

- أجل.. لكن..

- إذن قولي له إنك ستفعلين.. قولي نعم.

أحست زيتا بالجمود.. وكان لوك لا يزال ممسكاً بذراعها، وأحست بأصابعه تشتد ونظرت إليه بارتباك. وبالرغم من الإلحاح في صوت الطبيب لم تستطع أن تتكلم.

أجاب لوك عنها:

- من الطبيعي أن تتابع مساعدتي في المكتب ستيفن. فلا تقلق.. ستدبر أمرنا.. أليس كذلك زيتا؟

ردت بصوت ضعيف:

- أجل.. ستيفن.

لم يظهر على ستيفن الرضى لردها الضعيف وسأل بصوت متوتر أجش:

- هل أنت متأكدة؟

أدركت زيتا أنها يجب أن تقنعه:

- بالطبع! سأبقى إلى أن تعود وتصبح قادراً على العمل.. أعدك بذلك مجدداً.

حاول ستيفن الابتسام وقد بدا مرتاحاً أكثر.. وترك لوك ذراع زيتا وبدأ يناقش مع الطبيب عن أفضل وسيلة لنقل ستيفن إلى مدرج الطيران.. لسوف تذهب اليكسا معه لتبقى إلى جانبه ولا أحد يعرف متى ستعود.

وهي تقبل زيتا قبل الخروج سألتها هامسة:

- ستكونين هنا حين أعود.. أليس كذلك؟

أحست زيتا بالوقوع في فخ.. وأجابت بعجز: أجل.

وماذا بإمكانها أن تفعل غير هذا؟

لم تذهب معهم إلى المطار بل ذهب آيان ولوك بينما أمعنت في التفكير بالخطوة التالية.

أخيراً ظنت نفسها حلت المشكلة، لكن مع ظهور لوك مجدداً لوحده تساءلت ما إذا كان آيان قد ذهب مع ستيفن إلى المستشفى.. والتقت عيناها بعيني لوك غير آبهة للتعابير البارزة في عينيه وقبل أن تتكلم قال:

ـ هل هناك قهوة أو شاي؟

تحركت آلياً وهي تقول:

ـ سأعدّ لك شيئاً.

أفسحت مكاناً على الطاولة وسألت بأدب:

ـ أتريد شيئاً تأكله كذلك؟

ردّ بإيجاز:

ـ لا.. بل شاي فقط.

وهي تعي تفرسه الحاد بها، نظرت إليه مجدداً:

ـ لوك؟ أنا لا أنوي البقاء وتعرف هذا.. وعدي كان فقط لإبقاء ستيفن سعيداً.

رد بقسوة: لكنك وعدت.

وضعت فنجانين على الطاولة وعلبة بسكويت:

ـ أعرف هذا.. وما كان باستطاعتي أن أفعل غير هذا.

تشدق ببرود:

ـ حسناً.. كيف تقترحين التملص من واجباتك هذه المرة؟

نظرت إليه بغضب:

ـ هذه المرة؟ ماذا تعني «هذه المرة»؟

ـ لقد تملصت من الاتفاق الأول الذي عقدته بشأني مع ستيفن.. لذا فلنسمع كيف تنوين الخلاص من هذا!

همست بشراسة، ودائرتان محترقتان حمراوتان على قمة وجنتيها:



أكرهك!

رد بنعومة:

ـ ربما.. وربما هكذا أفضل. فلا أريدك أن تركزي اهتمامك عليّ.. بدلاً من الحسابات.

صاحت:

ـ لا يمكن أن تكون جاداً في كلامك؟ أعني حول الحسابات! ألا تفهم؟ لست بحاجة كي تأخذ الأمر بجدية. لن يسمحوا له بمغادرة المستشفى إلا بعد أن يصبح في صحة جيدة. وعند ذلك الوقت، سيكون قوياً بما يكفي، ليدرك أنه لم يكن منصفاً في طلبه مني البقاء هنا، وربما سيكون مسروراً لرحيلي.

استقرت النظرة الباردة على عينيها:

ـ هنا أنت مخطئة.. آنسة دراك.. قد تظنين أن كل شيء سيكون على ما يرام. لكن ستيفن ليس غبياً.. كان يعي تماماً أنه ما إن يبتعد عن نظرك ستتراجعين.. لذا اضطررت أن أعده بدوري أنك ستبقين.. وهذا ما أرضاه أكثر من وعدك له.

نظرت إليه ونظرها مغشي:

ـ إذن لن تتركني أرحل؟

ـ ليس قبل عودة ستيفن، إما ليعاود عمله أو ليتقاعد.

دون وعي أمسكت إبريق الماء وهو يغلي دون انتباه لما تفعل.. صاحت صيحة ألم شديد بعد أن لسع بخار الماء معصمها، تركت الإبريق فأمسك لوك بيدها يضعها تحت الماء البارد.

أحست بأنفاسه على وجهها وهو ينحني ليعدل تدفق الماء من الصنبور.. يتمتم بتجهم:

ـ لماذا يجب أن تفعلي أشياء غبية كهذه دائماً؟

وقفت مرتجفة تعي كلماته المزدوجة المعنى، بدا لها أن زمناً طويلاً مرّ منذ كانت آخر مرة قريبة منه هكذا، وكانت تظن أنها بنت دفاعاً قوياً

ضده لكنها أجفلت مذعورة للاستيقاظ الفجائي السريع لمشاعرها..

ملامسته هذه لم يكن فيها حنين أبداً، بل بقي صامداً كالصخرة مع أنها سمعته يسحب أنفاساً خشنة قبل أن يقول: انتبهي إبقي يدك تحت الماء.. ثم تركها والتفت إلى الإبريق ليتعامل معه.

سألت بإحساس مخدر:

- كم تظن ستتأخر عودة ستيفن؟

- ربما أسبوعين أو ثلاثة.

وضع غطاء الإبريق وبدا غاضباً لشيء ما، واستدارت زيتا نحوه:

- لكن ماذا عنك؟ لا يمكنك إقناعي أنك لن تمانع في بقائي لهذا الوقت الطويل..

قاطعها بحدة:

- ربما أمانع.. لكن ماذا عساي أن أفعل؟ لن أكون أول رجل علق بفخ مبادئه ليساعد الأعداء.

- بالتأكيد ستيفن ليس عدواً!

- هذه مسألة رأي.. ربما ليس في كل الأحوال.. لكن بما يكفي ليكون مصدر إزعاج دائم.

تنهدت زيتا:

- وأنت ستدعني أزيد من انزعاجك؟

- إذا أردت أن نصفي الأمر هكذا.. لكنني لست مضطراً مشاركتك وجهة النظر هذه.. من الآن وصاعداً، سأعاملك كغريبة.. أما في المكتب، فأنا فعلاً أحتاج إلى المساعدة..

- إذن.. تستطيع بسهولة أن تنسى من أنا؟

ابتسم ساخراً في عينيها الزرقاوين المجروحتين:

- بكل سهولة.. لقد لزمني عدة ساعات لأهدأ.. من الآن وصاعداً لن أفتقد إلى النوم.. سأعتبرك مجرد سكرتيرة مؤقتة.

ردت متوترة، مدركة أن صحة ستيفن وربما حياته تعتمد عليها:



- حسناً جداً! سأعمل لك.. لكن لأسبوعين فقط لا أكثر!

رد ببرود يضع الفنجان من يده بحدة على الطاولة:

- سنرى.. أتوقع حضورك إلى المكتب بعد نصف ساعة.

وصل آيان إلى المنزل منتصف النهار بعدما أكملت زيتا جلسة عمل محمومة مع لوك.. كانت قد قامت بما في وسعها وتبين لها أن هذا غير كافٍ.. كانت ملاحظاته التهجمية قاسية على قدرتها على التحمل.

صاح بها مرة وقد تجرأت على الاحتجاج.

- آنسة دراك.. قبل الآن كنت ضيفة عرضت المساعدة ولم أكن أدفع لك أجراً.. أما الآن فأنت تعملين سكرتيرة لي لقاء مرتب.. وأتوقع منك أن تعملي لتكسبيه.

ردت بحدة:

- أنا لم أكن يوماً سكرتيرة..

- أعرف هذا.. ستقبضين أجرك على هذا الأساس.. ما ينقصك هو الخبرة التي ستعوضين عنها بالعمل الشاق.

استدارت عنه تركض نحو الباب، لكن قبل أن تصل إليه أدركها وأدارها إلى الخلف.

- امسحي عينيك! لا أريد المزيد من الهستيريا! وعدت ستيفن أن تعملي لي لكنني لن أتحمل دموعك، إذا كنت ستنهارين في كل مرة أكلمك فيها فلن تبقي خمس دقائق.

صاحت بجنون دونما حكمة:

- كان الأمر مختلفاً وأنت تتظاهر بالوقوع في حبي.. أليس كذلك؟

بدا لها أن هذا أسكته، وسارعت إلى استغلال الفرصة:

- لم أكن متأثرة كثيراً ببراعتك كحبيب، لكن، كان هذا أفضل بكثير!

أرسلت عيناه شراراً أزرق:

- لو لم أدرك لعبتك القذرة في الوقت المناسب، أؤكد لك أنك ما

كنت ستتذمرين هكذا.

- هذا بالإضافة إلى علاقتك بسابينا رابون!

رد ساخراً:

- تفهمين الأمور بسرعة.

- هكذا أفضل لي.. وسأقول لك هذا.. بإمكانك الاحتفاظ بمالك العزيز إلى قلبك.. فلن آخذ منه بنساً واحداً!

- ربما تفضلين أن نقبضي بطريقة أخرى؟

سألت بحدة: مثل ماذا؟

- مثل هذا!

ومد يده نحوها يحاول ضمها، فصرخت: لا!

لكن ذراعاه التفتا حولها، وتصلبت مصممة أن تقاوم بكل ذرة من قواها.. أحست بالجنون لمعاملته لها هكذا.. وقالت لنفسها بحرارة إن تصرفه إهانة كاملة لها يعكس حقيقة رأيه فيها.. وبقيت متخشبة وبدأت المقاومة.

لكنه لم يسمح لها بهذا، وبعينين محترقتين نظر إليها:

- توقفي عن المقاومة!

شهقت:

- سيعجبك هذا.. سيعجبك جبني كالأرنب المذعور وأنت تتفوق عليّ.

صاح: اهدأي!

حين لم ترد عليه وحاولت ركله، أمسك رأسها إلى الوراء بصيحة غضب قابضاً على شعرها بينما يده الأخرى تمتد لتشد خصرها بوحشية.

وللحظات، بقي ممسكاً بها، يتركها تعي تفوق قوته الرجولية إلى أن انهارت بين يديه.. فأخذ يخفف ببطء ضغط يده عليها.

حين دفعها عنه أخيراً.. تمسكت بأول كرسي أمامها، بينما فتح الباب وخرج. ولا بد أنها جلست هناك دون إدراك لزمن طويل قبل أن



تتمكن من اللحاق به إلى الخارج.

بتعب جرجرت قدميها نحو المنزل لأنها تعرف أنها بحاجة إلى طوال بعد الظهر لتلملم شجاعتها.

حين دخل آيان يطلب الغداء أجفلت:

- ظننتك ذهبت مع العم ستيفن والعمة اليكسا؟

- لا.. ليس لدي ما أفعله هناك، ولدي عمل كثير هنا.

- لكن كيف ستتدبر أمك أمرها من دونك؟ أنا متدهشة لسماح لوك لها بالسفر لوحدها.

هز آيان كتفيه:

- لن يصيبها أي ضرر.. في الواقع، سألحق بهما بعد تناول شيء من الطعام.

- غداء؟

ضحك وضاقت عيناه:

- تبدين وكأنك لم تسمعي من قبل بشيء كهذا!

- أوه.. أنا آسفة.

وقفزت واقفة:

- لا بأس عليك، لا تذعري.. لحم بارد وسلطة تكفيني أو حتى سندويتش.

قالت بعد دقائق وهي تضع طبق السندويشات أمامه:

- أرجو أن يكون والدك بخير.

هز كتفيه:

- لديه طريقة في الخروج منتصراً.

نظر إليها ساخراً وبدأ يأكل بشهية ظاهرة.

- لا يجب أن تقلقي كثيراً فلن أقلق لو كنت مكانك.

- حين تراه قل له إنني بقيت في المكتب طوال قبل الظهر.. هذا إذا سمحوا لك برؤيته.

ـ لا بد أنك أمضيت وقتاً متعباً هناك كما يبدو لي ولن أقول لستيفن هذا.. لكن لو كنت مكانك لما تركت لوك يتحكم بي كما يريد.

ـ الأمر فقط لأسبوع أو اثنين.

ـ لا أظنك ستخرجين منهما حية!

ـ أرجو أن أفعل ما هو أكثر من البقاء حية.

قال فجأة:

ـ حسناً لدي أخبار لك.. سابينا رايون عادت.. لذا لن يكون «للريس» وقت لمخلوقات أقل شأناً مثلنا.

بعد ذهابه، غسلت زيتا الصحون وشغلت نفسها بعملية تنظيف ولم تتوقف إلى أن لم يعد بمقدورها الاستمرار. مع ذلك كانت لا تزال تحس بالقلق والتوتر، وقررت الخروج.. ربما على ظهر جواد، إلى مكان ما.

وهي تخرج وصلت بيرتا.. كانت الساعة قد تجاوزت السادسة، ودهشت زيتا لرؤيتها.. وقالت:

ـ لقد سمعنا للتو أخباراً عن ستيفن.. ستجرى له جراحة لقرحة في المعدة.

ـ إذن ليست المشكلة في قلبه؟

ـ يبدو أنه وصل المستشفى في الوقت المناسب، ولم يعد هناك خطر.

ـ لا شك أن العمة اليكسا ارتاحت قليلاً.. لكنني لا أعتقد أن بالها سيرتاح إلا عندما تنتهي الجراحة.. وسيكون جيداً لها وجود آيان معها.

شخرت بسخرية:

ـ هذا إذا وصل إلى هناك.. حين رأيته بعد الغداء قال إنه لا يظن أنه ذاهب إلى هناك قبل الغد.

ـ لكنه وعدني بالذهاب! ماذا ستفعل العمة اليكسا دونه؟

ـ آيان يحنث بوعوده بسهولة. لا أعتقد أنه يعني أن يكون مخادعاً.. الأمر فقط أنه يتلهى بسرعة.. ويحاول لوك الآن معرفة مكانه، لكن لا ضمانة أنه سينجح.



ـ وهذا لن يساعد العمة اليكسا!

اشتدت حدة نظرة بيرتا على وجه زيتا الشاحب.

ـ لا تقلقي كثيراً عزيزتي.. لوك يسيطر على كل شيء. إنه على اتصال دائم بالمستشفى واليكسا.. وإذا كان هناك أي خطر فسيذهب بنفسه.. وتعرف اليكسا أنها تستطيع الاعتماد عليه.

ارتجفت زيتا.. الجميع حتى ستيفن الذي لا يخفي لوك أنه يحتقره يمكنهم الاعتماد عليه.. إنها الوحيدة التي لن يتردد في تحطيمها إذا كان ممكناً.. وقالت لبيرتا قانطة:

ـ يبدو أن العم ستيفن سيغيب طويلاً.

ـ أسبوع أو أسبوعين في أي حال.

ـ أتعلمين أنني وعدته بأن أساعد في المكتب إلى أن يعود؟

هزت رأسها نفياً لكن دون أن تظهر عليها الدهشة.

ـ حسناً.. ربما هكذا أفضل.. ألا تظنين هذا؟ ستكون اليكسا أكثر سروراً لمعرفتها أنك هنا، وسأكون أنا أكثر سعادة لو بقيت معي في المنزل، لكن لوك قال إنك أخذت أغراضك على عجل لأنك كنت تفكرين بالسفر.

أدركت زيتا من طريقة كلام بيرتا أن هذا هو كل ما قاله لها لوك، وتعجبت:

ـ كنت أفكر بهذا فعلاً.. ظننت أن والداي بحاجة إلي.. لكن واضح أنني لن أستطيع السفر الآن إلى أن يتعافى العم ستيفن.

ـ لا.. وهذا ما أراه.. إذن ما رأيك بالعودة إلى المنزل معي إلى حين عودة اليكسا وستيفن؟

ـ وهل طلب لوك منك أن تسأليني؟

ـ لم يكن مزاجه جيداً لهذا لم أقترح عليه هذا.. لكنني أعرف أنه لن يمانع.

حاولت زيتا الرد بهدوء:

ـ أظن من الأفضل أن أبقى هنا.

حاولت جهدها أن لا تظهر المرارة في صوتها.. حتى أنها أجبرت نفسها على الضحك، وأكملت:

ـ ألا تذكرين الضجيج الذي افتعلته عمتي عن أن منزلها كله رطوبة وبحاجة إلى تهوئة؟ لا أريد أن أكون مذنبة في ذات الجريمة مرتين!

ابتسمت بيرتا بارتياب:

ـ هل أنت واثقة؟

قالت زيتا بينما بيرتا تستعد للعودة:

ـ على أي حال، السيدة هارلي ستعود قريباً.. ولقد قال لي آيان إن السيدة رايون قد عادت كذلك، لذا يبدو أنك سرعان ما ستنشغلين كثيراً.

* * *

# ٩ ـ هزمتها الدموع

بعد ذهاب بيرتا، تبعتها زيتا لتتمشى بدلاً من ركوب الخيل.. سارت على غير هدى لساعتين قبل أن تعود لتحضر لنفسها وجبة خفيفة ثم تخلد إلى النوم.. كانت الساعة لم تتجاوز العاشرة بعد.. لكنها لم تستطع التفكير بشيء تفعله.. وأملت أن يريحها النوم ولو لوقت قصير من أفكارها التعيسة.

لم يعد آيان إلى المنزل.. لكنها قررت أن تترك الباب دون إقفال في حال عاد..

بعد ساعة من هذا كانت لا تزال صاحية ووجدت من الصعوبة بمكان رغماً عن كل محاولاتها أن تتوقف عن التفكير بلوك وسابينا رايون.. ولهذا كان قلبها مثقلاً ويؤلمها مثل رأسها. وتابع النوم مخافاته لها.. وكانت على وشك الخروج من غرفتها لتجد بعض الأسبرين حين فوجئت بباب غرفتها يفتح.

اعتقدت أن هذا آيان دون شك.. وقفزت جالسة في السرير بصيحة مخنوقة.. ثم، ولدهشتها الكبرى، رأت أن القادم هو لوك.. غاضب مخيف المظهر.. يقتحم غرفة نومها دونما وازع.

صاحت وصوتها مزيج من الخوف والتحدي:

ـ ليس مرة أخرى!

لكن صوتها تلاشى وقد أدركت أنه يحمل لها أخباراً سيئة.. وهمست بقلق:

ـ هل هناك شيء خاطىء؟ هل الأمر يتعلق بصحة عمي ستيفن؟

ـ لا . . لا شيء حدث لستيفن . . لكنني أفتش عن آبان.

ارتباحها حل مكانه بسرعة غضب ساخط : في غرفتي؟

تغاضى عن سؤالها الساخط وكأنها لم تتكلم.

ـ الباب الخارجي لم يكن موصداً، ولم أرك في أي مكان . . وكان علي أن أتأكد أنك لم تضيعي.

ـ كان بإمكانك أن تقرع الباب بدلاً من الدخول هكذا؟

اعتذر بلهجة استهزاء وإهانة :

ـ آسف سيدتي . . لقد قرعت ولم أتلق رداً، فاستنتجت أنك ربما نائمة أو ما زلت في الخارج، لأنني رأيتك تجولين على مسافة بعيدة عن محيط المنزل . . إذا فقد أحد في هذه المناطق نرى لزاماً علينا كواجب شرف أن نبدأ البحث عنه . ولم يكن أمامي طريقة سوى هذه ولو وجدتك نائمة ما كنت لأوقظك.

كانت على وشك أن تقول إن طريقة فتحه للباب كفيلة بإيقاظ الميت . . لكنها أحست فجأة أنها متعبة لا تستطيع الجدال.

تنهدت :

ـ آبان ليس هنا . . قال لي إنه سينضم إلى أمه، وهذا كل ما أعرفه . وأنا لم أره منذ الغداء.

ـ هذا ما قاله لي بيرتا . . لكنه لم يصل إلى البكسا بعد وكنت أريد التحدث إليه . . فهل تمانعين أن أنتظر برهة في غرفة الاستقبال؟ قد يصل في أية لحظة.

عرفت زينا أنه سيفعل شاءت أم أبت :

ـ إذا شئت، هل تريدني أن أرتدي ملابسي وأصنع لك بعض القهوة؟

رد متجهماً وكأنما هذا آخر شيء يرغب فيه :

ـ لا . . أستطيع صنع القهوة بنفسي إذا لزم الأمر . . هل أنت بخير؟ هل أحضر لك شيئاً؟



لو لم تكن الجملتين الأخيرتين تبدوان وكأنهما منتزعتان انتزاعاً منه، لكان من الممكن أن ترد بشكل مختلف . . لكنها ضمت يديها بشدة وهزت رأسها نفياً :

ـ لا أريد شيئاً . . أنا بخير.

قال مع نظرة أخيرة على جسدها الصغير المرهق :

ـ عمت مساء إذن . . سأخرج لوحدي فيما بعد إذا لم يصل آبان.

مع وجوده في المنزل، لم تكن زينا تتوقع النوم . . لكن جعلها وجوده تحس بالأمان . . وغرقت في سبات عميق ولم تستيقظ حتى الصباح. علمت أن شخصاً يقف فوقها ينظر إليها . . لكن حين استيقظت، كان الحلم ضبابياً بحيث لم تتذكر منه سوى هذا.

كانت تعمل في المكتب حين وصل لوك. كانت قد بدأت تعتقد أنه لن يأتي . . لكن إحساسها بالارتياح سرعان ما زال مع ظهوره . . وتمنت من كل قلبها أن يتوقف عن الغضب منها.

لم يفسر لها سبب تأخره . . وهذا ما جعلها بدورها تقطب جبينها . . لماذا يجب أن يعتبر نفسه من صنف أرفع من صنف البشر يمكنه أن يفعل ما يشاء؟ وهو يستند إلى حافة منضدته تابع النظر إليها، ثم أعلن فجأة أن أمه عائدة إلى المنزل في اليوم التالي . . وقبل أن تعلق زينا على الخبر تابع قائلاً :

ـ سيأتي معها أربعة أصدقاء . . سيقيمون هنا بضعة أيام . . لذا أيمكنك، رجاء، أن تنتقلي مجدداً إلى منزلي آنسة دراك لتساعدي بيرتا؟ ولسوف أعوضك عن هذا بالطبع.

نظرت زينا إليه تشعر بالعجز . . إنها لا تريد أن تفعل ما يطلبه منها . . لكنها لا تجد عذراً للرفض . . ووافقت على مضض :

ـ إذا كنت ترى هذا ضرورياً.

أكد لها بجفاء :

ـ ما كنت لأطلبه منك لو لم يكن ضرورياً . . يبدو أن أمي تحسنت

كثيراً.. لكنني لا أريدها أن تتعب نفسها.

كان هذا آخر ما ترغبه زينا.. أن تضطر للعيش في ذات المنزل معه مرة أخرى حيث سيعذبها بقربه.. وقالت كمن علق في فخ لا خلاص له منه:

ـ سأجيء.. لكن لا أريد ثمن ذلك نقوداً.

التوى فمه:

ـ ظننتك ستبتهجين للمال الإضافي إذا كنت مستعجلة للعودة إلى بلادك.

ـ أنا مستعجلة.. لكن العم ستيفن دفع لي أجرة سفري.

جمدت عيناه:

ـ بإمكانك إعادة المبلغ له بعد فشلك في دورك المتفق عليه.

حاولت أن لا تدعه يرى كم يجرحها. كانت تحس بدافع شرس كي تصفعه على وجهه المزدري بها، وأقنعت نفسها أنه يستحق الصفع. وكانت ستحاول لولا أنه بدا متعباً، شاحب الوجه، مشدود الفم. بدا وكأنه لم ينم ليله.. وبدلاً من ترك الشفقة أو الغضب، يغمرها أحدهما تظاهرت أنها لم تسمع ما قاله.. وسألت:

ـ هل وجدت آيان؟

ـ أجل.. وأعتقد أنه وصل الآن إلى المستشفى.. لكن السماء وحدها تعرف أين أمضى ليلته.

على الأقل، لا يعتقد أنه كان معها!

ـ هل سيبقى مع العمة اليكسا؟ أتظنه سيفعل؟

ـ من الأفضل له أن يفعل!

نظرت إليه وهو يتحرك.. هل لأي رجل الحق أن يكون جذاباً هكذا؟ صحيح أن قسمات وجهه المنحوتة صارمة متجهمة، لكن لا سبيل أبداً لإنكار قوة شخصيته. ابتلعت زينا ريقها بألم وأشاحت بعينيها. وقالت:



ـ حين آتي أفضل أن لا تعاملوني كضيفة.. كما كنت سابقاً.

استدار إليها مجدداً:

ـ وكيف تحبين أن نعتبرك؟

يا له من برود في وقت كانت هي من الداخل شعلة نار!

ـ مجرد فتاة عاملة عادية.

ارتفع حاجباه الأسودان:

ـ بيرتا تتناول وجباتها معنا، وهي امرأة عاملة.

ـ إنها تقريباً واحدة من العائلة!

ـ كما حاولت أن تكوني أنت يوماً.

قفزت زينا واقفة، لكنه أصبح قربها فجأة، يده على كتفها، يدفعها لتعود إلى الجلوس:

ـ اهدأي آنسة دراك وكوني عاقلة. أنا ذاهب.. ولا داعي لأن تذهبي أنت.

نظرت إليه بحدة ووجهها قرمزي اللون:

ـ لولا أنني وعدت ستيفن لما بقيت في أي مكان قريب منك!

بدا عليه الضجر وهو يسير نحو الباب:

ـ حين تنهين عملك هنا.. لا تنسي نقل أغراضك إلى منزلي.

كانت بيرتا مشغولة حين وصلت. لم تطرح أسئلة بل نظرت بسرعة إلى زينا ودعتها لتشاركها وجبة سريعة.. لكن زينا اعتذرت.

نظرت إليها بيرتا بحدة:

ـ لقد أصبحت نحيلة جداً.. ويجب أن أسمنك.

ـ أنا من النوع النحيل.. سآخذ أغراضي إلى غرفتي وأتركك تنهين غذائك بسلام.

حضر لوك للعشاء لكنه بعد ذلك مباشرة اختفى في مكتبه..

حين وصلت السيدة هارلي وأصدقائها، أسقط في يد زينا أن ترى سابينا رايون معهم.. يبدو أنها التقت بالسيدة هارلي في ديربي ودعتها

كثيراً.. لكنني لا أريدها أن تتعب نفسها.

كان هذا آخر ما ترغبه زينا.. أن تضطر للعيش في ذات المنزل معه مرة أخرى حيث سيعذبها بقربه.. وقالت كمن علق في فخ لا خلاص له منه:

ـ سأجيء.. لكن لا أريد ثمن ذلك نقوداً.

التوى فمه:

ـ ظننتك ستبتهجين للمال الإضافي إذا كنت مستعجلة للعودة إلى بلادك.

ـ أنا مستعجلة.. لكن العم ستيفن دفع لي أجرة سفري.

جمدت عيناه:

ـ بإمكانك إعادة المبلغ له بعد فشلك في دورك المتفق عليه.

حاولت أن لا تدعه يرى كم يجرحها. كانت تحس بدافع شرس كي تصفعه على وجهه المزدري بها، وأقنعت نفسها أنه يستحق الصفع. وكانت ستحاول لولا أنه بدا متعباً، شاحب الوجه، مشدود الفم. بدا وكأنه لم ينم ليله.. وبدلاً من ترك الشفقة أو الغضب، يغمرها أحدهما تظاهرت أنها لم تسمع ما قاله.. وسألت:

ـ هل وجدت آيان؟

ـ أجل.. وأعتقد أنه وصل الآن إلى المستشفى.. لكن السماء وحدها تعرف أين أمضى ليلته.

على الأقل، لا يعتقد أنه كان معها!

ـ هل سيبقى مع العمة اليكسا؟ أتظنه سيفعل؟

ـ من الأفضل له أن يفعل!

نظرت إليه وهو يتحرك.. هل لأي رجل الحق أن يكون جذاباً هكذا؟ صحيح أن قسمات وجهه المنحوتة صارمة متجهمة، لكن لا سبيل أبداً لإنكار قوة شخصيته. ابتلعت زينا ريقها بألم وأشاحت بعينيها. وقالت:



ـ حين آتي أفضل أن لا تعاملوني كضيفة.. كما كنت سابقاً.

استدار إليها مجدداً:

ـ وكيف تحبين أن نعتبرك؟

يا له من برود في وقت كانت هي من الداخل شعلة نار!

ـ مجرد فتاة عاملة عادية.

ارتفع حاجباه الأسودان:

ـ بيرتا تتناول وجباتها معنا، وهي امرأة عاملة.

ـ إنها تقريباً واحدة من العائلة!

ـ كما حاولت أن تكوني أنت يوماً.

قفزت زينا واقفة، لكنه أصبح قربها فجأة، يده على كتفها، يدفعها لتعود إلى الجلوس:

ـ اهدأي آنسة دراك وكوني عاقلة. أنا ذاهب.. ولا داعي لأن تذهبي أنت.

نظرت إليه بحدة ووجهها قرمزي اللون:

ـ لولا أنني وعدت ستيفن لما بقيت في أي مكان قريب منك!

بدا عليه الضجر وهو يسير نحو الباب:

ـ حين تنهين عملك هنا.. لا تنسي نقل أغراضك إلى منزلي.

كانت بيرتا مشغولة حين وصلت. لم تطرح أسئلة بل نظرت بسرعة إلى زينا ودعتها لتشاركها وجبة سريعة.. لكن زينا اعتذرت.

نظرت إليها بيرتا بحدة:

ـ لقد أصبحت نحيلة جداً.. ويجب أن أسمنك.

ـ أنا من النوع النحيل.. سآخذ أغراضي إلى غرفتي وأتركك تنهين غذائك بسلام.

حضر لوك للعشاء لكنه بعد ذلك مباشرة اختفى في مكتبه..

حين وصلت السيدة هارلي وأصدقائها، أسقط في يد زينا أن ترى سابينا رايون معهم.. يبدو أنها التقت بالسيدة هارلي في ديربي ودعتها

الأخيرة إلى الانضمام إليهم.

سمعت زيتا السيدة هارلي تقول لبيرتا:

ـ أرجو أن لا يكون هذا صعباً عليك بيرتا؟ لقد دعا لوك على حين غرّة أسرة جونسون..

أجابت بيرتا بمرح:

ـ أنا واثقة أننا ستتدبر أمرنا، إقامتهم ستكون لبضعة أيام فقط.. وزيتا هنا ستساعدنا وهي كفؤة جداً، إضافة إلى أنها فتاة لطيفة.

بدلاً من أن تقاطع زيتا الحديث في المطبخ تراجعت إلى غرفتها.. لكن السيدة هارلي سعت إليها فيما بعد لتقول لها إنها آسفة بشأن ستيفن، وابتسمت بلطف قائلة:

ـ في الواقع رأيت اليكسا بالأمس.. أخبرني لوك بأمر الجراحة، وطلب مني أن أزور المستشفى. ستيفن يستعيد عافيته بسرعة.. وهو يضع خططاً لتقاعد.. وأعتقد أن اليكسا ستحصل على منزلها على الساحل أخيراً! على أي حال، كل هذا سيتقرر بعد أسبوع أو أسبوعين حين يعودان إلى هنا.

كانت زيتا تفضل تناول طعامها في المطبخ، لكن السيدة هارلي أصرت على أن تنضم إليهم في غرفة الطعام.

تجاهل لوك زيتا تماماً ذلك المساء.. وكانت زيتا ممتنة لانشغالها بمساعدة بيرتا في تقديم أنواع الطعام المختلفة.. ولم يلحظ أحد ازدياد شحوبها، أو قلة ما أكلت.

بعد العشاء، أدارت سابينا موسيقى راقصة ورقص لوك معها ورقص ابن دايفد جونسون مع زوجته بينما اختفى الكبار للعب الورق.

لم يتحدث أحد مع زيتا التي جلست جامدة كالتمثال. أرادت أن تقف وتهرب من الجميع، لكن ساقيها لم تساعداها على الحركة. ابتلعت ريقها بألم، محاولة منع الغثيان من التصاعد داخلها.. رمقت لوك لترى أنه ينظر إليها من فوق رأس سابينا ذات الشعر الأسود.. تعبيره قال لها



بأوضح من الكلمات إنها تفسد له متعته بوجودها هنا.

ثار جسد زيتا ودفعها إلى الوقوف متسرّعة.. وقفت لحظات تسعى لثبات ساقيها المرتجفتين، وكانت على وشك مغادرة الغرفة حين قالت سابينا وهي تقف مع لوك إلى جانبها:

ـ أوه.. آنسة دراك.. أريدك أن تحضري لي سريري. لاحظت أنك لم تفعلي هذا.

تسلل لون زهري إلى وجه زيتا الخالي من أي لون ولمع الغضب في عينيها.. ثم خمد. ما فائدة الإحساس بالرغبة في قتل الفتاة؟ وماذا يهم كيف تعاملها سابينا؟

ـ سأفعل هذا في الحال سيدة رايون.

تابعت سابينا أوامرها ببرود:

ـ وأحب أن يكون هناك إبريق شاي قرب السرير..

ابتسمت ببطء وإغراء للوك، وأكملت..

ـ.. فأنا أشعر أحياناً بالوحدة.

تمتم بنعومة:

ـ يجب أن نجد حلاً أفضل من الشاي.

وعرفت زيتا أنها إذا لم تهرب فستنقيأ.

ـ حاضر سيدة رايون.. أرجو المعذرة..

وبعد أن لبت طلبات سابينا بكت.. بكت زيتا إلى أن نامت.. ونجحت في هذا بوضع بطانية فوق رأسها وأذنيها كي لا تسمع وقع خطوات لوك تحمله إلى غرفة سابينا.. لكن ما من بطانية أو دموع تمكنا من إزالة الصور من رأسها المتألم لسابينا مسترخية بين ذراعي لوك.

كانت في المطبخ في السادسة من صباح اليوم التالي حين دخل لوك ليقول لها إنه لن يحتاجها هذا الصباح في المكتب، لكنه يأمل أن لا تنسى حفل الشواء الذي دعا إليه بريسكوت كوايتس هذا المساء.. وردت:

ـ أنا آسفة.. أفضل البقاء في المنزل.

أعطت عيناه الوقحتان معنى مزدوج لرده:

ـ لكن بريسكوت كوايتس مصر على وجودك، ولقد وعدته. يجب أن لا يخيب أمله.

استدارت بيرتا لتوقف احتجاجات زيتا:

ـ بالطبع ستذهب لوك! كنت بالأمس فقط أنكر أنها بحاجة إلى شيء من المرح.. سمعتها تبكي ليلة أمس وأنا ذاهبة لأنام.. لا شك أن السبب هو ستيفن واليكسا، أو الحنين إلى بلادها.. وفي أي حال يجب أن نفعل شيئاً لإخراجها من اكتئابها.. حفل شواء وشاب لطيف قد يفيدها كثيراً!

أحست زيتا بطوفان أحمر يكتسحها، وتمنت لو تغوص في الأرض.. كيف تقول للوك إنها كانت تبكي؟

قالت:

ـ كنت قلقة على العم ستيفن.. وما زلت.. وأنا واثقة أنني لن أتمتع في الحفلة.

ـ كلام سخيف! لو كنت أصغر سناً لذهبت بنفسي.. اذهبي عزيزتي!

وضحكت بيرتا.. أزاح لوك نظرته الثاقبة عن وجه زيتا:

ـ اتفقنا إذن. سنتناول العشاء باكراً بيرتا.. شيء خفيف فقط.

ذهبوا إلى الحفلة بالطائرة، وكانت الحفلة قد بدأت حين اقتراب الطائرة من محيط منزل بريسكوت كوايتس. وكان بريسكوت بالانتظار ليستقبلهم ويستولي على زيتا فوراً.. أبعدها عنهم بعد أن قال للآخرين أن يتمتعوا بسهرتهم، وكانت زيتا سعيدة بالذهاب معه بعيداً عن عيني لوك المتطلعتين دوماً.

قال بريسكوت وعيناه تتفحصانها:

ـ تبدين فاتنة.. وبإمكاني أن أكلك.

ضحكت زيتا:



ـ لو كنت مكانك لالتزمت بالطعام الموجود في الحفلة، فرائحته لذيذة!

تنفس عطرها بعمق:

ـ وأنت كذلك.. لا تحاولي إحباطي.

سألها أن ترقص معه فوافقت متشوقة، وقامت بما في وسعها للتظاهر أنها تمضي وقتاً سعيداً.. وبجهد كبير ركزت ابتسامة على وجهها وأبقتها هناك إلى أن أحست بالألم.

أمسك بريسكوت بها على مسافة رسمية، بينما عيناه تقولان إنه يفضل لو يضمها إليه. قال:

ـ أردت أن أسألك الخروج معي يوم كنت في كولاري. لكنني لاحظت أنك.. حسناً.. كنت مهتمة أكثر بلوك.

ـ لوك؟ أوه إنه لطيف جداً. وبالطبع أحبه!

لكن صوتها المرتجف خانها، فسألها متدهشاً: لكن...؟

همست: لا يحبني.

لرعبها، امتلأت عيناها دموعاً ولم تستطع منعها بسرعة كافية.. فتمتم بريسكوت:

ـ إذن تأخرت كثيراً!

ـ أنا آسفة!

شدها إليه مهدئاً.. ثم ضحك بلطف، وقال موبخاً:

ـ أتعرفين يا امرأة؟ كنت أحلم طوال النهار بأن أحتضنك.. لكنني لم أحلم أن يكون السبب هو مواساتك بسبب شخص آخر!

ضحكت زيتا بضعف وقالت:

ـ حسناً يلزمني بضع كلمات لطيفة.. بما أن الرجل المذكور لا يحبني..

ـ هل هناك امرأة أخرى؟

ردت بصراحة مريرة:

ـ أعتقد هذا.. قد تكون السيدة رايون.

ـ لست جادة! سابينا موجودة حوله منذ سنوات!

لم تستشف زيتا أي نوع من الراحة من كلامه المرتاب غير المصدق..

ومع ارتفاع حاجبي بريسكوت قالت بصراحة:

ـ أصدقاء الطفولة غالباً ما يكتشفون حبهم لبعضهم.. لم يدع يوماً أنه جاد معي لذا يجب أن لا ألوم سوى نفسي.. ولو أن الأمر لم يعد مهماً لأنني مسافرة عما قريب إلى بلادي.

ـ بلادك؟

ـ هذا ما أخشاه.

صاح بصوت مرتفع ولهفة:

ـ إذن، إذا لم يكن هناك شيء بينك وبين لوك.. يجب أن تدعيني أراك قبل سفرك.

توقفت الموسيقى وتراجعت زيتا لتجد نفسها تقف إلى جانب لوك تماماً.. وهذا ما وفر عليها ضرورة الرد على بريسكوت.. لكنها أحست بالارتباك للتعبير الظاهر على وجه لوك.. مع أنه لم يكلمها منذ ساعات.

انضمت فتاة أخرى إلى الحفلة، ولم تندهش زيتا حين قدمها بريسكوت على أنها شقيقته بيلا.. كانت تشبهه تماماً. بعد ابتعاد زيتا جانباً لاحظت أن لوك يتطلع إليها بارتياب ثم إلى بريسكوت.. حين طلبها فجأة للرقص لم تندهش للمحاضرة التي تلت.

قال بحدة:

ـ لا يهمني لو ادعيت أمام كل الناس أننا لسنا صديقين، لكنني لن أسمح لك بتشجيع بريسكوت. لقد مرّ بعلاقتين أو ثلاث غير سعيدة، ويكفيه هذا.

ردت ساخرة:

ـ هذا على الأقل يبرهن أن له قلب.

ـ ولن أسمح لمرتزقة مغامرة حقيرة مثلك أن تستغله!



الدموع التي كتمتها بين ذراعي بريسكوت انهمرت لكلام لوك، وتدفقت على وجنتيها بإذلال.. وشهقت: منديلي!

وأخذت تفتش عنه.

أبعدها لوك خلف مجموعة من الشجيرات الشائكة ورمى لها بمنديل ناصع البياض:

ـ لأجل الله.. جففي دموعك! إذا كنت تظنين بأن بضعة دموع سوف تجعلني ألين فأنت مخطئة.

ردت مختنقة وبمرارة:

ـ لا أظن هذا! أوه لوك.. لا يمكن أن تكرهني إلى هذا الحد! أنا لم أنجح في الزواج منك.. وأنت لم تعانِ شيئاً.. أنا التي أعاني أكثر.

مع تلاشي صوتها وقد أدركت ما أفصحت عنه.. زاد من سخريته بها:

ـ أنت مهدرين أنفاسك.. وإذا كان ضميرك هو الذي يزعجك فلا تدعيه يفعل.. لقد نسيت كل ما حصل، وأستطيع أن أجد نساء كثيرات مستعدات لمساعدتي.

قالت متهورة:

ـ ليس ضميري هو الذي يزعجني.. لقد أحببتك!

توتر لحظة.. واحتدت نظرته.. ثم شخر ساخراً:

ـ آسف سيدتي.. لا أصدق هذا.. إلا إذا اهتممت بإثباته لي!

أحست زيتا بأنفاسها تتهدج في حلقها.. كان في عينيه بريق لماع صلب.. وشكت في أن يكون بتعمد إغاظتها، ربما بسبب الفضول.

ردت مذهولة لثبات صوتها:

ـ لم أعد أحبك الآن.. ولا أستطيع إثبات شيء.

قال ساخراً:

ـ إذن كان حبك من النوع الذي تفتحينه وتقفلينه كما تفعلين بصنبور الماء؟ حسناً.. هذا الحب لا يثير اهتمامي.. من الأفضل أنني اكتشفت

هذا في الوقت المناسب.

حين هزتها شهقة تحيب أخرى، بدا أنه فقد صبره.. أمسك ذراعها بأصابع آلمتها وجرّها بعيداً عن الناس.

ـ فلتمشي إلى أن تتمكني من السيطرة على نفسك.

بعد بضعة ياردات احتجت:

ـ أنت لم تتناول العشاء بعد!

ـ سيحسن المشي شهيتي.. فأنا الآن لست جائعاً.

ـ ألن تفتقدك السيدة رايون؟

ـ إذن عليك أن تكوني حصيفة، وتبتعدي عن طريقها!

صمتت مليئة النفس بسخط مؤلم. مع ذلك كانت ترتجف في داخلها.. ولم تكن تعرف إلى أين يذهبان أو في أي الجهات.. بل كانت أحياناً تعتمد على يد لوك لتساعدها مع أنها كانت تؤلمها.

قطعا مسافة بعيدة قبل أن يتوقف.. فرفعت رأسها إليه.. لامس إصبع يده الحرة خدها وقال:

ـ جفت دموعك أخيراً.

ردت بصوت بارد:

ـ لو تكرمت بترك ذراعي لأصلحت زينتي.

بدلاً من أن يتركها شدها إليه:

ـ يمكنك إصلاح زينتك بعد قليل..

وأحنى رأسه يعانقها.. وهذا ما فاجأها تماماً.. كانت مقتنعة أنه لن يغازلها مرة أخرى. وسرعان ما اكتشفت أن هذا العناق نوع آخر من العقاب، مغوٍ وقاسٍ.

ثارت ريح خفيفة من حولهما، تزيد من إبراز عزلتهما. وارتجفت زينا وهي تحس بنفسها تعود تدريجياً إلى الحياة مع تحريك لوك والريح معاً لنيران ظنتها تحولت إلى رماد.. ومع استمرار عناقه لها، ارتفعت يدها تداعب شعره الأسود.



تركها فجأة حتى خيل لها أنه غاضب.. كانت مذهولة مرتجفة لعناقه، سارع لوك بها الخطى للعودة في الطريق التي جاءا منها، وبمعنى تركته يفعل. وقد هزمتها الظلمة وعيناها المليئتان بالدموع..

* * *

# ١٠ ـ طريقان للغرق

كانت زيتا لا تزال تفكر في الصباح التالي ولو أنها حاولت أن لا تفعل بالاستقبال الذي تلقياه من السيدة رايون. . ولا يمكن لوم زيتا على غضبها بعد غيابها مع لوك لأكثر من ساعة. . حين عادا، بدت سابينا وكأنها جنت.

بالنسبة لزيتا كان من الممكن لها أن تتحمل احتقار سابينا لو أن لوك لم يتجاهلها تماماً وأخذ سابينا ليراقصها ويمضي معها بقية السهرة. . وتساءلت زيتا بمرارة أي نوع من القصص قاله لها كي ترضى بسرعة.

كان بريسكوت مهذباً معها، لكنه تركها لوحدها. معظم الوقت أمضته زيتا جالسة لوحدها على مقعد تحت الأشجار. . هناك فعلت الوحدة فعل الترياق لقلبها المتألم إلى أن أحست أن شخصاً ما يراقبها.

طوال الطريق إلى المنزل، وكما توقعت، لم يكلمها أحد. . مع أن لوك نظر إليها بتركيز مثير للأعصاب. . ربما كان يتساءل ما إذا كانت ستقول لسابينا ما حصل بالضبط حين كانا معاً.

كان النهار قد طلع حين وصلوا كولاري، وأملت زيتا أن لا تشهد شروق الشمس يوماً آخر وهي في مثل هذا الإحباط.

كان الزوجان جونسون سيغادران في الصباح التالي. . وكانا قلقين حول الطقس. . وسألت زيتا بيرتا:

ـ هل ستسافر السيدة رايون أيضاً؟

تابعت بيرتا خفق عجينة البسكويت:

- لم أسمع شيئاً. . لكن لو كانت مغادرة فمن غير المحتمل أن يكون هذا معهما. .

حين استيقظت زيتا كان هذا باكراً جداً، ولم يكن ضوء النهار قد طلع بعد. . لم تعرف ما الذي أزعجها من منامها. . لكنها كانت محقة في التفكير أن السبب شخص ما. وخشية أن يكون قد حدث شيء ما للسيدة هارلي، لفت حولها الروب وتطلعت إلى الخارج.

ولم تكن السيدة هارلي. . بل كان السيد جونسون. . كان يتحدث إلى لوك. . وبدا منزعجاً جداً:

- لو كنت مكانك، لكنت أوليت الأمر اهتماماً في أسرع وقت ممكن. . يمكن لأي أحد أن يعلق هناك لأيام. . أول ليلة كنت فيها هنا حدث هذا، ولولا أن زوجتي أنت ترى ما الذي يؤخرني، لكنت ما زلت هناك حتى الآن!

شهقت زيتا بدهشة وهي تدرك أن الرجل علق داخل الدوش تماماً كما حدث لها، لكن مع استدارة الرجلين، تراجعت إلى غرفتها، وأقفلت الباب ورائها. . الآن سيصدق لوك أنها كانت تقول الحقيقة. . لكن الأمر لم يعد يهم.

أرسل لوك بطلبها لتأتي إلى مكتبته قبل الفطور. . وقال متجهماً:

- يبدو أنني مدين لك باعتذار.

للمرة الثانية ذلك الصباح أجفلت دهشة، لكنها عرفت فوراً ماذا يعني. . لم تكن تظن أنه سيعترف أنها كانت على حق فيما يخص باب الدوش. . لكن سرعان ما تبين أن الاعتذار المختصر كان كل التنازل الذي سيقدمه.

أبعدت نظرها عنه تشرح له باكتئاب:

- لم تكن ملاماً. . وجدت الأمر صعب التصديق أنا أيضاً.

- سوف أغيّر الباب كله. . يبدو أن حركته الميكانيكية معطلة على الأرجح بسبب قدمه وعدم استعماله.

تطلعت زيتا إلى الأرض.. كان رأسها يؤلمها بحدة، وعرفت أن لا لون لوجهها.. أخيراً سألت:

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ أجل.. بإمكانك الذهاب الآن.

بينما كانت زيتا تساعد في تقديم الفطور قالت لها زوجة دايفد جونسون:

ـ كانت السيدة هارلي تخبرني ان والدك خبير بالأنتيكات.

ـ أجل لديه متجر، ويظهر دائماً على التلفزيون.

تأثرت السيدة جونسون:

ـ لا بد أنه يكسب كثيراً من المال.

ابتسمت زيتا:

ـ أخشى أن يكون والدي حالماً دائماً.. فنحن دوماً فقراء.

التقت عيناها بعيني لوك واحمرت بغير ارتياح. لقد أعطته معلومات إضافية عنها، تدعم نظرته أنها باحثة عن الثروة.

أعلنت السيدة جونسون:

ـ زوجي وأنا نأمل أن نزور انكلترا في السنة المقبلة. لو أعطيتنا عنوانكم فقد نسعى إليكم.. ستكونين هناك، أليس كذلك؟

ـ أجل.. أتوقع أن أسافر في أي يوم الآن.

بعد رحيل الزوجان، أوصل لوك سابينا إلى ديربي.. قبل أن يغادر، تحدث إلى زيتا في غرفة الطعام حيث وجدها تنظف الطاولة.

ـ لن أطيل غيابي.. لكن، وأنا غائب، لا تخرجي لوحدك إلى أي مكان راكبة جواداً.. فالطقس غير مستقر.

حاولت الرد ببرود:

ـ لدي الكثير لأفعله هنا.. لكن لو خرجت وضعت.. فماذا يهمك؟ أنت لست مسؤولاً عني.

اشتد ضغطه على شفتيه:



ـ أنا مسؤول عن كل شخص في كولاري كما سبق وقلت لك.. ولا وقت لدي للتفتيش عنك.

آلمها هذا ولو أنها اضطرت إلى إخفاء ألمها. هزت رأسها بالإيجاب وسمعته يتمتم شيئاً من بين أسنانه وانطلقت ذراعاه تمسكان بها، وقال بحدة وقد شحب وجهه:

ـ هل ستأخذين كلامي على محمل الجد؟ أم أستخدم وسائل أكثر خشونة لأقنعك؟

انكمشت زيتا منه بذعر جعل قلبها يخفق بشدة، واشتدت قبضته على كتفيها وأخذ يهزها بعنف. في الوقت الذي ظنته فيه أنه سيضمها، نادته سابينا من الردهة، فترك زيتا واختفى. مع ابتعاد وقع خطواته، جلست على الكرسي ودفنت وجهها بين يديها فوق الطاولة.. ولم تتحرك من مكانها إلى أن غادرت سابينا المنزل. وهي تخرج من غرفة الطعام، كانت السيدة هارلي تعود لتوها إلى غرفة الاستقبال.

ـ آه.. زيتا.. لقد رحلت سابينا لتوها.. كان لوك مستعجلاً.. وقال إنه سيزور ستيفن وهو في البلدة.

ابتلعت زيتا ريقها تحاول أن تخفي ألماً مريراً.. كانت ترغب في رؤية ستيفن واليكسا، لكنه لم يفكر بدعوتها.. لا بد أنه يحب السيدة رايون كثيراً.. ربما وهو يوصلها إلى بيتها سيطلب يدها.. وأدركت أنها لو ذهبت معهما فستكون شخصاً غير مرغوب فيه.

قالت فجأة:

ـ بيرتا ينقصها بعض الأشياء.. وأعتقد أنني سأذهب إلى فينزوري كروسينغ وأتسوق لها.

عبست السيدة هارلي مقطبة جبينها:

ـ الطقس لا يبدو جيداً.. ولا أريد منك المخاطرة عزيزتي..

ـ ومن سيفتقدني لو جرفتني السيول؟ أحياناً أتساءل ما إذا كانت الحياة تستحق أن أعيشها؟

ولم تستطع إخفاء ألم مرير جعل السيدة هارلي تنظر إليها بحدة، ولحسن الحظ لم تجادلها بيرتا.. ووضعت لها لائحة بما تحتاج.

يبدو أن بيرتا نسيت أن زيتا لم تذهب إلى «فيتزوري كروسينغ» سوى مرة واحدة مع لوك.. قررت زيتا أن تأخذ شاحنة صغيرة بدت أنها أصيبت بعدة ضربات.. فلو صدمتها مرة أخرى قد لا يلحظها أحد.. وكان أحد الشبان العاملين هناك موجوداً.. وطرحت عليه عدة أسئلة إلى أن تأكدت أنها ستتمكن من قيادتها.

ابتسم لها الشاب ونظر إلى السماء بقلق:

ـ لو كنت مكانك لما ذهبت.

وعدت زيتا أن لا تطيل الغياب.. ولسرورها، استجابت العربة لها فوراً.. ولم تجد أية صعوبة.. في فيتزوري كروسينغ أتمت مشترياتها بسرعة وقررت العودة فوراً.. فمن الغباء أن تتجاهل كل التحذيرات التي تلقتها، كما أن السماء أصبحت قاتمة أكثر ولا ترغب في أن تتحدى الأقدار بإطالة الإقامة أكثر من اللازم.

لسوء الحظ، لم تبتعد كثيراً عن البلدة حتى انفجر الطقس السيء.. لم تشاهد في حياتها كلها مثل غزارة هذه الأمطار. وبشكل لا يصدق، تحولت الشاحنة بسرعة إلى مستنقع. وتذكرت أن أمامها نهر لتجتازه.

أحست أن جسدها كله يرتجف حين وصلت النهر.. ما كان يمكن لها أبداً أن تصدق أنه كان منذ بضع ساعات مجرد جدول صغير.. فهو الآن كما رأت بعرض ما لا يقل عن مائة يارد، ويتدفق بسرعة. ومتلئ بالعوائق والأخشاب الطافية..

لم يكن هناك وقت للتفكير.. وبدا أنها ستنجح في العبور بشكل رائع حتى كادت تصل الجهة الأخرى.. لكن الأطارين الأماميين للشاحنة سقطا في حفرة على ضفة النهر ورفضا التحرك.. بذعر حاولت التراجع مقررة أن تختار ممراً آخر.. وداست قليلاً على دواسة الوقود.. لم يحدث شيء.. ورفضت الشاحنة مرة أخرى أن تتقدم أو تتراجع. أخيراً



اضطرت إلى الاستسلام، وأخذت تقيم الموقف بهدوء. بالرغم من أن بصرها لم يستطع اختراق ستارة المطر المتدفق، إلا أنها كانت ترى أن النهر يزداد عمقاً بسرعة.. ولو جلست هنا مدة أطول فسيغمر ماء النهر السيارة وقد لا تتمكن من الخروج منها.

سمعت نفسها تهمس بصوت مرتفع:

ـ لكنها شاحنة لوك! ولو فقدتها فهل سيسامحني؟

فجأة، أدركت أنها إذا لم تهجرها قد لا تعيش لتعرف ما إذا كان سيغضب أم لا. لكن البديل الوحيد أمامها، لم يكن مغرياً أبداً..

وهي تفتح الباب، كانت تفكر أن ميتة سريعة أفضل من الموت البطيء.. كان النهر يتدفق في دوامات مستمرة شريرة، وأخذت نفساً عميقاً، وأنزلت نفسها بخوف شديد إلى مياهه.. ولراحتها الكبيرة لم يكن شديد العمق ولم يبلغ أعلى من خصرها، وبنظرة ندم إلى مركبة المزرعة تركتها وسارت نحو الضفة.

كانت تتقدم بشكل جيد إلى أن انزلقت، ثم صدمتها جذع شجرة مجروفة على رأسها.. ومع أن الضربة لحسن الحظ لم توقعها، إلا أنها للحظات رأت النجوم أمامها قبل أن تستجمع نفسها لترفع نفسها بجهد من الماء.

على اليابسة، وبعد أن صفا رأسها قليلاً زحفت إلى مسافة أكثر أمناً وقيمت موقفها.. صحيح أنها نجت من النهر، إلا أنها لا زالت على بعد عشرة أميال من كولاري.. يمكنها أن تسير، لكن بالإمكان أن تضيع بسهولة، فالعديد من المسالك اختفت مع استمرار الطوفان.. وبدا أن العاصفة تزداد شراسة ولو حاولت السير حتى المنزل، فلن تصل إليه أبداً.

أخيراً توصلت إلى استنتاج أن أملها الوحيد هو في البقاء حيث هي.. انها الآن على الطريق الصحيح، ومع الوقت سيجدها شخص ما. وجدت الحماية تحت بضعة أشجار.. منذ الطفولة قيل لها أن لا

تقترب من الأشجار بوجود البرق.. لكن، اليوم، أحست أنها ستكون في خطر أكبر لو بقيت في العراء.. كان رأسها يؤلمها لكنه لم يكن ينزف دماً، كان هناك كدمة كبيرة على صدغها فقط وتساءلت لماذا يجعلها هذا تشعر بالتعب والغثيان.

بينما بعد الظهر يتراجع أمام المساء، نامت بشكل متقطع.. عندما استيقظت تساءلت عما إذا كانت مصابة بحمى إذ وجدت نفسها شديدة الحرارة وتتعرق، في وقت بدت لها الريح باردة.. فكرت بلوك وكيف كان يهزها حين نادته سابينا.. أحست بشيء من الدوار وفقدت أثر ما كانت تفكر به.. أحياناً كانت متأكدة أنها تسمع أصواتاً، ولكن سرعان ما كانت تكتشف أن هذه الأصوات ما هي إلا أصوات الريح والمطر تتلاعب بالغصون وأوراق الشجر فوقها.

حين استيقظت في المرة التالية كانت متأكدة أن هذه ليست الأصوات التي تخيلتها. ثم بشكل غامض، ومن خلال المطر، رأت رجالاً ومركبات.. في مكان ما سمعت لوك يصيح.. بدا وكأنه يصدر تعليمات حادة، صوته غريب متوحش تقريباً.. وعرفت أنها كانت محقة بالظن أنه سيغضب.

حاولت أن تنادي أنها بخير ليعرفوا أين هي. لكن لم يسمعها أحد.. لم يكن لديها فكرة كم أمضت هنا، لكنها كانت لا تستطيع الوقوف. حين حاولت إجبار نفسها، تعثرت ووقعت على ركبتيها أكثر من مرة في جهدها لتصل إليهم.. كان الرجال لا يبعدون أكثر من خمسين ياردة، لكن بدوا كأنهم يبعدون أميالاً.

أخيراً اقتربت وسمعت لوك يتبادل كلمات حادة مع أحد الرعاة عنده.

- إذا كنت واثقاً أن الشاحنة هناك فسأسبح عبر النهر إليها.

- إنها هناك يا ريس، وهذا مؤكد.. لكن لا يمكن أن يكون فيها أحد على قيد الحياة.



قاطعه صوت لوك كقرقعة السوط:

- اصمت! أحضر لي حبلاً، إذا كانت الشاحنة هناك فسأخرجها منها.

وصلت زيتا إليهم: لوك!

استدار بسرعة البرق.. عيناه تخترقان الظلام. وهو ينظر إليها مصدوماً بوضوح، تكلمت ثانية، صوتها المرتجف أعياه التعب:

- أرجوك.. لا تنزل إلى النهر.. سأشتري لك شاحنة أخرى!

فجأة بدا أنه استجمع نفسه وحل تعبير حي مكان الشحوب على وجهه:

- أيتها الحمقاء..! ما معنى لعبتك الحقيرة هذه؟

ما الذي يعنيه؟ دون وعي مدّت يدها إليه تسعى لتسند نفسها عليه.. ثم اتضح لها أنه لا يريد مساعدتها، وهمست:

- لم أفعل شيئاً عن قصد.

أصبح قربها الآن، وأمسك ذراعيها دون إخفاء غضبه المتصاعد:

- هل تدركين أن بعضاً منا كان يمكن أن ينزل النهر ويغرق؟

ابتلعت ريقها:

- لست مضطراً لهذا.

كان رأسها يهدد بالانشطار ولوك يرفض أن يتفهمها.. وقال بحدة ساخرة:

- يا له من عمل أحمق! ما من أحد لديه ذرة عقل يورط نفسه في موقف كهذا! أيمكن أن تشرحي لي كيف حصل؟

انكمشت برعب.. مع صعوبة كبرى في التركيز: أنا آسفة.

كان شعره مبللاً، ملتصقاً برأسه، والمطر يجري فوق صدره العريض.. وكررت:

- أنا آسفة.. سأدفع لك كلفة أي ضرر.. أعدك.. إذا قلت لي كم هو المبلغ.

بدا على استعداد أن يضربها: كيف؟

ثم وهي تترنح بشدة تدخل أحد الرجال:

ـ السيدة واقفة على قدميها يا ريس.. ووقوفها هكذا لن يفيدها.

رد لوك بحدة:

ـ أنت على حق..

لكن كان هذا كل ما سمعته زيتا بينما أخذ كل شيء يبهت أمامها، ووقعت فاقدة الوعي عند قدميه.. أحست بشكل غامض بذراعين متلهفتين ترفعانها.. لكن هذا كل شيء.

حين استعادت وعيها عرفت على الفور أن هناك شيء مختلف.. فهي لم تعد تحت بضعة أشجار قرب النهر.. والفراش الذي تستلقي فوقه الآن كان أكثر نعومة.. المطر كان لا يزال منهمراً، وتستطيع سماعه يطرق الأرض.. أحست أنها تكاد تحترق، وحاولت إبعاد الأغطية عنها.. كان من الصعب عليها أن تعرف ماذا تفعل فهي لا تجد القوة الكافية لتفتح عينيها.. ولم يعد رأسها يؤلمها كثيراً.

ثم تذكرت النهر.. كانت طوال الليل في صراع معه.. لكنه كان يمسك بها بقسوة يرفض أن يتركها.

وصلها صوت رجل قوي ومتلهف:

ـ زيتا؟ أنت آمنة تماماً حبيبتي. افتحي عينيك وانظري إليّ..

هل كانت تهذي؟

قامت بجهد كبير لتفعل ما قيل لها، وذهلت لرؤية لوك إلى جانبها.. كانت في غرفة نومها في كولاري وفي فراشها، وكان يجلس على حافة السرير، ينحني فوقها وعيناه مليئتان بالندم وبشيء آخر حاولت جاهدة أن تراه.. بقلق توجهت عيناها إلى النافذة.. كان الظلام لا يزال دامساً.. وهمست:

ـ هل وصلنا إلى هنا لتونا؟

ـ لا.. لقد مر على هذا ثمان وأربعين ساعة.. لكنك كنت فاقدة



الوعي معظم الوقت.

ـ أنا آسفة..

ـ لا أريد سماعك تتأسفين مرة أخرى.. أنا الذي يجب أن أعتذر لك.

سألت بحيرة: تعتذر لماذا؟

ـ لما قلته ساعة وجدتك، لكنني كنت فاقداً صوابي قلقاً.. لن تعرفي أبداً كم أحسست باليأس حين ظننتك داخل الشاحنة.. ولا أعتقد أنني سأبلغ هذا الجنون مرة أخرى، حين استدرت ووجدتك خلفي بدا أن شيئاً أفلت من دماغي، وبدلاً من أن أحتضنك وأقول لك كم قلقت عليك وجدت نفسي أصيح عليك.

لم تستطع تفهم مضامين كلامه على الفور، فهمست:

ـ ما كان يجب أن أذهب إلى فينزوري كروسينغ، لكنني ذهبت لأنني كنت يائسة.. ظننتك ستعود إلى المنزل وأنت خاطب للسيدة رايون.. أوه..

امتلأت عيناها بدموع الضعف.. فصمتت:

ـ ربما خطبتها؟ هل ستتزوجها؟

صاح بخشونة:

ـ يا إلهي! لم تخطر ببالي يوماً فكرة الزواج منها.. كانت مجرد جزء من دفاعي ضد فتاة صغيرة من انكلترا.. لكنها لم تكن يوماً متوهمة بالنسبة لمشاعري نحوها.. نحن نعرف بعضنا منذ زمن طويل.

ـ لماذا أوصلتها إذن إلى ديربي؟

ـ لأتخلص منها.. ولرؤية ستيفن. كنت مضطراً.

ـ مضطراً؟

تردد قليلاً:

ـ أجل.. زيتا.. أنا أحبك.. وأريدك أن تكوني زوجتي. لكن لم أكن سأطلب منك هذا قبل الغد.. لقد كنت على اتصال دائم مع دكتور

فرانك بابلي.. ولم يستطع المجيء إلى هنا. لقد نصحني أن لا أفعل شيئا قد يزعجك حتى الغد.

نظرت زيتا إليه، عيناها المشتعلتان فجأة تعطيانه ردها.. لوك يطلب منها الزواج! لم تسمح لنفسها ولو للحظة أن تفكر أنه سيفعل يوماً.. لكن ألا يمكن أن يقول هذا لمجرد مواساتها؟

وهو يلاحظ ترددها مرت على عينيه غمامة سوداء.

ـ أستطيع فهم مشاعرك.. لكنك لن تعرفي الجحيم الذي مررت به.

أدارت رأسها خوفاً أن تفضح نفسها.. فلامس ذقنها بلطف يجبرها على النظر إليه.

ـ أنت لست راغبة في أن تقولي لي ما إذا كنت ترغبين في الزواج مني أم لا.. أليس كذلك؟ أريحيني من بؤسي.. إذا كان هذا ممكناً.

كانت كلماته بصوت أجش وأعطت زيتا فكرة عن العذاب الذي يتآكله.. رفعت ذراعيها حول عنقه.. وقالت بصوت خافت:

ـ أحبك.. وأريد الزواج منك أكثر من رغبتي في أي شيء في العالم.

بصيحة ارتياح عانقها، ثم كبح نفسه:

ـ الآن وقد سوينا هذا.. سنتحدث في الصباح.. لقد وصف لك الطبيب أقراصاً مهدئة لتنامي جيداً.. لذا من الأفضل أن تأخذيها.

تذكرت زيتا في الصباح التالي أنها حاولت الكلام بعد تناول الأقراص.. لكن لوك لم يسمح لها.. ولا شك أنها غرقت في النوم فوراً. حين استيقظت كانت لا تزال نعسى، لكن ما عرفته من ارتباك وقلق في الليلة الماضية لا أثر له الآن.

ثم لاحظت أن بيرتا تجلس على كرسي قرب السرير حيث كان يجلس لوك! أين هو؟ حاولت مذعورة الجلوس تتمتم باسمه.

أسكتتها بيرتا بلطف:

ـ لا تقلقي.. كان سيبقى هنا لولا أنني وأمه أقنعناه أنه ليس في حالة تسمح له بمساعدة خطيبته.



احمرت وجنتا زيتا:

ـ إذن.. قال لكما؟

ابتسمت بيرتا ممازحة:

ـ لقد ضبطته يضع الخاتم في اصبعك.. وصدمت.. إلى أن شرح لي أنك كنت صاحية ووافقت على الزواج منه، ولن يعطيك الفرصة لتغيري رأيك.. بإمكانك تغيير الخاتم إذا لم يعجبك.

نظرت زيتا إلى الخاتم الجميل الذي يزين إصبعها الثالث.. وهمست بذهول:

ـ أوه.. بيرتا! كم أحبه! وأنا سعيدة جداً..

مسحت بيرتا الدموع عن عينيها دون خجل:

ـ والدة لوك وأنا سعيدتان أيضاً.. السيدة هارلي واثقة من أنها لن تجد كنّة أفضل منك.

ابتلعت زيتا الغصّة في حلقها:

ـ هذا جميل منها.. لقد كنت مصدر إزعاج كبير!

ـ لا.. لم تكوني هكذا! لقد بقي لوك إلى جانبك ليلتين دون نوم.. لقد أرسلته في الخامسة صباح هذا اليوم لينام وقطعت له وعداً بأن لا أتركك وأن أستدعيه حين تستيقظين.

لم تصدق مدى اهتمامه.. وسألت:

ـ كم الساعة الآن؟

جاء صوت لوك ممازحاً من الباب:

ـ الثامنة أيتها الكسولة!

دخل الغرفة يحمل كوبين من الشاي مبتسماً لبيرتا:

ـ نسيت أن آتي لك بكوب بيرتا.. الإبريق لا زال ملياً في المطبخ.. وأنا أعرف أنك متلهفة للبدء في تحضير الفطور.

قفزت بيرتا واقفة يبدو عليها المرح:

ـ لقد فهمت التلميح! لكن لا تتعب زيتا كثيراً.. سأعود بعد نصف

ساعة.

حين خرجت بيرتا، تجهم وجه لوك.. وأقفل الباب ثم عاد يجلس على السرير:

- ألا زلت تشعرين أنك أفضل حالاً؟ هذه ضربة فظيعة.. وأريد الحقيقة!

- أنا فعلاً أشعر أنني بخير هذا الصباح لكن رأسي يؤلمني بعض الشيء.. وماذا عنك؟ قالت بيرتا إنك لم تنم.

قال بشيء من الخبث:

- لا تقلقي.. سأعوض عن هذا من الآن حتى موعد الزفاف، ولا أتوقع أن أنام كثيراً فيما بعد.

احمر وجه زينا بارتباك جميل.. أخذ فنجان القهوة من على الصينية وأصر على أن تشربه. بعد أن أنهته، لامس بلطف العلامة القرمزية على خدها.. فتنهدت:

- أعتقد أنني أبدو مشعثة قليلاً.

- أنت جميلة مهما كانت حالة وجهك. ألم تدركي بعد كم أحبك؟

أخذ يدها اليمنى وقبلها بنعومة:

- تركت لك الخاتم ليذكرك ساعة تستيقظين.. ولست أدري إذا كنت قد سامحتني أم لا؟

وشحب وجهه:

- بالرغم مما قلته لبيرتا، فإنني أسمح لك بتغيير رأيك.. لكنني أردت أن تكوني واثقة من نواياي.

حاولت أن تعبس.. لكنها وجدت نفسها تبتسم:

- أستطيع أن أرى أنك ستكون زوجاً مميزاً جداً!

- إذن لم تغيري رأيك؟

ظنت نفسها طمأنته، لكن تعابير وجهه كانت لا تزال متجهمة.. ففتحت ذراعيها له:



- آه حبيبي.. لقد أحببتك منذ أن رأيتك ولم يكن مجرد إعجاب.. بل كان شيئاً لم يحدث لي من قبل وأخافني في البداية.. لكنني سرعان ما أدركت أن حبك مقدر عليّ مثل الهواء الذي أتنشقه..

لم يسمح لها بالمزيد من الكلام.. جذبها إلى ذراعيه ولفترة بقيا متعانقين بصمت كامل لا يقطعه سوى كلمات كان يتمتم بها.. وبدأت زينا تستجيب وهي تحس أنها تكاد تعود إلى فقدان الوعي مع تجدد الشوق المألوف نحوه. كانت تعي لهفته وشوقه، كما تعي أنه مسيطر تماماً على نفسه.

أخيراً أفلتها بحدة:

- أنت تغريبني لدرجة أنني لم أعد قادراً على التفكير.

مع إحساسها أنها تفضل البقاء بين ذراعيه، إلا أنها تعرف أن هناك أشياء كثيرة تريد أن يوضحها لها.

- لماذا ذهبت لرؤية ستيفن؟

رد متجهماً:

- لأقول له ولأليكسا طبعاً أنني أريد الزواج منك.

نظرت إليه بذهول.

- وأنت تؤمن أنني جئت إلى هنا خصيصاً لهذا الهدف؟

هز رأسه، واسودت عيناه.

- كنت أؤمن بهذا.. لكنني فجأة لم أعد واثقاً، كان هذا إلى حين أدركت أنني أحببتك منذ زمن بعيد وكنت أرفض الاعتراف بهذا.

للحظات طويلة، حدق بها.. كلاهما يتذكر الأيام والأسابيع التي مرت في العذاب والبؤس.. وبصوت أجش، قال مكملاً:

- لقد أدركت أنني أحبك أكثر من الحياة ذاتها.. لكن كان كل شيء ضدنا منذ البداية.. قد تفهمين لو قلت لك ان أمي منذ سنوات تحاول أن تقنع ستيفن بدعوة أقارب زوجته لزيارتنا.. لكنه كان يقسم دائماً أنهم غير موافقين عليه أساساً ولن يستقبلهم في منزله. ثم دون سبب غمره

التسامح ودعاك إلى هنا ودفع لك أجرة السفر.. وهذا أمر عجيب لأنه لم يكن يصرف بنساً واحداً سوى على نفسه.. مع كل هذا لم أعرف نواياه إلى أن أنكر وجود صورة لك معه.. ثم بعد ذلك، عند سماعي إياه يقول لك ما قاله ذلك المساء يوم أوصلتك إلى المنزل.

تصاعد الخجل المربك إلى عينيها:

- لم أكن أصغي إليه.. كنت تعانقني لتوك وكنت لا أزال مذهولة.. هل ألمح إلى أنني كنت أقوم بعمل رائع في خداعي لك؟

- شيء من هذا.

همست:

- أفهم أنك لا بد انزعجت.. لكن لم يكن لدي فكرة.

- أعرف هذا الآن.. لكنني لم أكن أعرفه يومها. وأخشى أنني كنت قد بدأت أصبح حساساً فيما يخصك.. حتى أنني أحسست بشيء يجتاحني على مواجهتك. لكن كنت لا أزال أرغب أن أرى إلى أي مدى كنت مستعدة للذهاب.

- لماذا كان ستيفن يعارض زواجك من سابينا رابون؟

- لم يتفقا معاً يوماً.. منذ كانت صغيرة كان العداء يزداد بينهما بشكل لا يصدق.. أمر مذهل حقاً.. أشياء لا يمكن تفسيرها.

- وأنت لا تحبه كثيراً.. أليس كذلك؟

هز رأسه:

- لا.. لكن لم يكن الأمر بيننا كثير السوء.. فقد بقينا نعمل معاً رغم كل شيء.. قبل وفاة والدي طلب مني استبقاء ستيفن.. مرة تحطمت طائرة والدي فأنقذه ستيفن بإخراجه منها بسرعة.. بالرغم من هذا كان ستيفن دائماً يدعي أن أيامه هنا ستكون معدودة لو تزوجت أنا من سابينا.. حين تزوجت شخصاً آخر وابتعدت.. استراح بشكل ظاهر.. لكن بعد أن عادت أرملة أصيب بالرعب وأرسل يطلبك. تلك الصورة التي أرسلتها أمك لابنتها الجميلة كانت مسؤولة عن وضع تلك



الفكرة في رأسه!

- لست جميلة إلى هذا الحد.

- بلى.. أنت جميلة!

أحست بارتباك لما يقول، وعكست نظرتها شكوكها وهمست:

- يبدو لي كل شيء غير معقول!

هز كتفيه ساخراً:

- ما إن التقيتك في المطار حتى فهمت خطته.. لو تزوجتني فمركزه في كولاري سيبقى آمناً. وإذا لم تنجح خطته فقد تتزوجين آبان، وهكذا سيبقى قربهما مدى الحياة.

شحب وجه زينا وأحست بصدمة كاملة.. قالت هامسة:

- كان يجب أن تعرف أنني ما كنت لأجيء إلى هنا لو كان لدي أدنى شك في هذا؟

رفع اليد الممسكة بيده إلى شفتيه:

- وكيف أكون متأكداً؟ على أي حال.. أنا مسرور الآن لمجيئك. ومسرور كذلك لأنني قررت مجاراة اللعبة.

- لقد كنت كالشيطان! لقد تعمدت خداعي!

اتسعت ابتسامته مع أن عيناه كانتا تنوسلان الصفح:

- لم أكن لأصدق أنني سأتنازل إلى ضعف بشري هكذا.. لا بد أن عيناك الزرقاوان سحراني حبيبتي. وكنت مذنباً في قولي وفعلي لأشياء كثيرة لا أقولها أو افعلها عادة إلا لمجرد إغوائك.. لقد أمضيت معظم أيامي هنا وأنا أفعل هذا بالضبط.

لم تحاول إخفاء سعادتها من عينيها.. ثم تلاشى إشراقها بندم مفاجيء:

- كانت غلطتي في أن تعتقد أنني متآمرة مع العم ستيفن.. لقد كنت نصف واقعة في حبك على الفور وظننت من السخافة ادعاء العكس.

- بل كانت الغلطة أساساً غلطتي.. فأنا معتاد على خطط ستيفن

المجنونة بعكسك أنت.. وكان يجب أن لا أهتم بها.. إنه ليس الرجل الذي آخذه عادة على محمل الجد.. إنه يصرف كل ماله على سباق الخيل. وهو مستعد لبيع روحه للشيطان في سبيل المقامرة.. لقد باع كل ما يملك بما فيه حصصه في الشركة.

- قال لي إنه لم يكن يملك منها شيئاً!

- لست مندهشاً لقوله هذا فهو عادة يخدع الناس متعمداً.. وأنا آسف لهذا زيتا.. لكنه قريبي كذلك.

- وماذا عن عمتي اليكسا؟

- يجب أن لا تلوميها أو تشعري بالأسف عليها.. إنها تحب ستيفن بجنون مثلما هو، لا بد أن لديها فكرة ولو غامضة عما يفكر به. لكن تأكدي أنه لم يقل لها الكثير.. فهو يخشى أن تفضح سره.

هزت زيتا رأسها إيجاباً وقد بدأت تفهم.. لكنها لم تستطع منع نفسها من الإحساس بالارتياك في خصوص المستقبل.. إذا استمر ستيفن في أن يكون شوكة في خاصرة لوك.. وسألت متوترة:

- متى سيعودان؟

- قريباً جداً.. لكنني لن أنتظرهما زيتا.. بضعة أيام فقط وإذا لم يستطع ستيفن الحضور، فستحضر اليكسا. ولسوف يتقاعد معها على الساحل بعد عودتنا من شهر العسل.. سأشتري لهما المنزل الذي تريده اليكسا وكلاهما مسرور لهذا.

كان كل هذا كثيراً على زيتا. ومع نظرة لوك إليها بهذا اللمعان المتعجرف المصمم في عينيه.. كيف يمكنها أن تتحداه؟

- وأبواي؟

- لقد اتصلت بهما.. وهما كأمي سعيدان جداً ولا يعترضان على الزواج.. لقد وعدتهما أن تتصلي بهما اليوم إذا كنت قادرة.

هزت زيتا رأسها موافقة بلهفة، في وقت أخذ قلبها يضرب بجنون. بعد وقت قصير ستصبح زوجة لوك وتعيش في كرلازي معه.. وسألت



متوسلة:

- أيمكن لهما زيارتنا؟

- لقد دعوتهما.

بقي على سعادتها أن تمر بسحابة خفيفة:

- وماذا عن سابينا؟

ارتفع حاجباه بسخرية:

- وماذا عنها؟ إنها تعرف أنني ما أحببتها يوماً.. أعترف أنني كنت أخرج معها كثيراً لمجرد إغاظة ستيفن لكن كان لديها علاقات مع رجال كثر قبل وبعد زواجها.. ولا أعتقد أنني قادر على إيلامها حتى ولو حاولت مع أنني أحس أحياناً برغبة في هذا.. حين بدأت تصدر لك الأوامر كنت أريدك أن تعاني، أوه.. حبيبتي.. لقد حاولت جهدي. لكن حين فعلت هي هذا كان الأمر مختلفاً.. وأردت أن أضربها!

بدا أن دماغ زيتا يدور في حلقات مفرغة:

- كنت ستتركني أسافر لو لم ينهر ستيفن؟

قربها إليه، وجهه أبيض وهو ينظر إليها، والشوق يحترق في عينيه.

- هذا كان أبعد شيء عن تفكيري.. كنت يائساً أفكر بشيء يبقيك هنا ويبقي لي كبريائي.. أو ما تبقى لي منها.

- ليلة حفل الشواء.. كنت تعيسة جداً.

- ولا يمكنك أن تعرفي ما كانت مشاعري! أردت أن تصبحي لي.. لكن براءتك أوقفتني.

ابتلعت ريقها فالألم الذي عانته ليلتها بدا طازجاً في ذاكرتها.

- لكنك فيما بعد.. تجاهلتني.

- حاولت أن أتجاهلك.. كنت أبتسم للآخرين وأنا لا أرى سواك.. كنت تجلسين تحت الأشجار ولا أذكر أنني أحسست بسوء أكثر في حياتي كلها.. ولم أستطع إبعاد تفكيري عنك.. كنت أنظر إليك وأدرك كم أحبك.. وأحسست أن قنبلة أصابتني.

همست متسعة العينين:

- ولم تقل لي؟

اهتزت يده وهو يمررها في شعرها الأشقر الحريري.

- كان يجب أن أتخلص من الزوجين جونسون أولاً.. ومن سابينا، كنت أحس أن التفاعل الكيميائي بيننا موجود.. لكنني أردت أكثر من هذا.. ولم أرد وجود أحد وأنا أكتشف الحقيقة.. ولا أريد أن أتذكر كيف أحسست وقد ظننت أنني فقدتك في النهر إلى الأبد.

ابتسمت له:

- لا تفكر بهذا أبداً.. فالنهر لم يأخذني.. لقد أنقذت حياتي فعلاً لأنني ما كنت لأقدر أن أصل إلى المنزل وأنا في حالتي تلك.. أحبك.. وطالما أنت تحبني هذا ما يهمني حقاً.

اشتدت ذراعاه حولها وهو يؤكد لها:

- سأحبك كل ما تبقى من حياتي.. في يوم ما قد تبدأين في فهم كم تعنين لي.. أنا من دونك لا شيء.

تسارعت نبضاتها لتتناغم في وتيرة واحدة مع دقات قلبه الراعدة.. وخرج صوتها أكثر بقليل من الهمس المتهدج.

- حبيبي.. ما لدينا الآن يبدو أروع من أن يكون حقيقة.. وبالكاد أصدق.

بعجرفته الممازحة، قال:

- إذن يجب أن أقنعك.. وأحذرك سأكون زوجاً غيوراً جداً.. ولن أسمح لك بمجرد نظرة لرجل آخر.

احتجت متقطوعة الأنفاس وهو يضمها إليه:

- وهل تظن أنني أريد النظر إلى أحد.

فهم وجهه وغمغم وهو يعانقها برقة وحنان:

- أحب كل شيء فيك.. أحبك كثيراً بحيث أنني لا أثق بنفسي.

همست:



- قد تصل بيرتا إلى هنا في أية لحظة.

رفعها بين ذراعيه، ونظر إلى وجهها الزهري:

- أيتها الجبانة! قد تصل بيرتا بعد دقيقة، لكن سيكون لنا كل دقيقة باقية من حياتنا بعد هذا.. وصدقيني حبيبتي.. لن تستطيعي التهرب أبداً.

ولم تتهرب أبداً!

بلا عنوان
مع تمنياتنا لكم بقضاء وقت ممتع

# الحلم الممنوع

إنه رجل أحلامك يا زيتا! هذا ما همس به قلبها... فمنذ أن التقت بلوك أفلت زمام عواطفها من يدها، وبدا لها أن القدر في صفها فكل خطوة تخطوها كانت تقودها إليه وكل حركة منه كانت تقربه منها أكثر... ولكن لو عرفت زيتا رأيه بها أكانت تترك قلبها يقودها إلى الهاوية؟

لا تستطيع أن تلومه فقد حذّرها منذ البداية عندما قال لها:

- أنت صغيرة جداً، ولم تتعلمي حتى الآن إخفاء مشاعرك... يجب أن تتعلمي الوقوف على قدميك بمفردك وألا تدعي أحداً يتلاعب بك...

... هل يفيدها هذا الآن وقد عرفت الحقيقة؟ وكيف يفيد الغريق أن يتشبث بحبال الوهم؟

www.rewity.com